﴿ فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للامام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

٢ (تفسير سورة يس عليه الصلاة والسلام)
٤ ذكر قصة بعث سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الرسل الى أهل انطاكية
١٥ (تفسير سورة والصفات)
٢٣ ذكر الاشارة الى قصة الذبح
٢٦ ذكر الاشارة الى قصة بعث الله تعالى سيدنا الياس عليه الصلاة والسلام نبيا الى بني اسرائيل
٣١ ﴿تفسير سورة ص)
٣٨ فصل في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به الخ
فصل اختلف العلماء في سجدة ص
٤٩ فصل في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم أتاني ربي في أحسن صورة الخ
٥١ (تفسير سورة الزمر)
٦٣ فصل في ذكر أحاديث تتعلق بقوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الخ
٦٩ (تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)
٨٠ فصل في ذكر الدجال
٨٥ (تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح)
٩٣ فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة
٩٦ (تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى)
١٠٢ فصل في ذكر التوبة وحكمها
١٠٨ (تفسير سورة الزخرف)
١١٩ (تفسير سورة الدخان)
١٢٣ ذكر قصة تبع على ما ذكره ابن اسحق الخ
١٢٥ (تفسير سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة)
١٣٠ تفسير سورة الاحقاف)
١٥٣ فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم

صحيفة

وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة
١٣٨ ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الخ)
١٤٢ (تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم)
١٤٣ فصل في حكم الآية (يعني قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الخ)
١٥٣ (تفسير سورة الفتح)
١٦٢ ذكر غزوة خيبر
١٦٥ ذكر صلح الحديبية
١٧٤ فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٥ (تفسير سورة الحجرات)
١٨٠ فصل في حكم قتال البغاة
١٨٦ (تفسير سورة ق)
١٩٠ فصل في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد الخ
١٩٣ (تفسير سورة الذاريات)
١٩٤ فصل هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان الخ (وهو قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا الخ
١٩٩ (تفسير سورة الطور)
٢٠٤ (تفسير سورة النجم)
٢٠٧ فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء
٢١١ فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة
٢١٦ (تفسير سورة القمر)
٢٢١ فصل في سبب نزول الآية (أي قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر) وما ورد في القدر وما قيل فيه

صحيفة	
٢٢٣	(تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل)
٢٣١	(تفسير سورة الواقعة)
٢٤٢	(تفسير سورة الحديد)
٢٥٢	(تفسير سورة المجادلة)
٢٥٣	فصل فى أحكام الظهار وفيه مسائل
٢٥٤	فصل فى أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل
٢٦٢	(تفسير سورة الحشر)
٢٧٣	(تفسير سورة الممتحنة)
٢٨٠	(تفسير سورة الصف)
٢٨٣	(تفسير سورة الجمعة)
٢٨٦	فصل فى فضل الجمعة وأحكامها واثم تاركها
٢٨٩	ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام أى أحكام الجمعة والخطبة
٢٩٠	(تفسير سورة المنافقين)
٢٩٢	ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية (أى قوله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الخ)
٢٩٤	(تفسير سورة التغابن)
٢٩٧	(تفسير سورة الطلاق)
٢٩٨	فصل اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة الخ
٣٠١	فصل فى حكم قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم
٣٠٣	(تفسير سورة التحريم)
٣٠٥	فصل اختلف العلماء فى لفظ التحريم الخ
٣٠٨	فصل وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور الخ
٣١٠	(تفسير سورة الملك)
٣١٤	(تفسير سورة ن)
٣١٦	فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٢١	فصل فى شرح ألفاظ حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة

صحيفة	
٣٢٤	(تفسير سورة الحاقة)
٣٣٠	(تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج
٣٣٤	(تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام)
٣٣٨	(تفسير سورة الجن)
	فصل اختلف الرواة هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن الخ
٣٤٤	(تفسير سورة المزمل عليه الصلاة والسلام)
٣٤٥	فصل عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٥٠	(تفسير سورة المدثر عليه الصلاة والسلام)
٣٥٧	(تفسير سورة القيامة)
٣٦٠	فصل فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة
٣٦٢	(تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا)
٣٦٨	(تفسير سورة المرسلات)
٣٧١	(تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل)
٣٧٥	(تفسير سورة النازعات)
٣٧٩	(تفسير سورة عبس)
٣٨١	(تفسير سورة التكوير)
٣٨٤	(تفسير سورة الانفطار)
٣٨٥	(تفسير سورة المطففين)
٣٨٩	(تفسير سورة الانشقاق)
٣٩١	(تفسير سورة البروج)
٣٩٥	(تفسير سورة الطارق)
٣٩٦	(تفسير سورة الاعلى)
٣٩٩	(تفسير سورة الغاشية)
٤٠١	(تفسير سورة الفجر)
٤٠٧	(تفسير سورة البلد)
٤٠٩	(تفسير سورة الشمس)
٤١١	(تفسير سورة والليل)
٤١٣	(تفسير سوره والضحى)
٤١٧	(تفسير سورة ألم نشرح)

صحيفة	
٤١٩	(تفسير سورة والتين)
٤٢٠	(تفسير سورة العلق)
٤٢١	فصل فى هذا الحديث (أى حديث أول ما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة الخ) دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أوّل ما نزل من القرآن الخ
٤٢٣	(تفسير سورة القدر)
٤٢٤	فصل فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها ذكر الاحاديث الواردة فى ليلة القدر
٤٢٥	ذكر ليال مشتركة
٤٢٧	(تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة)
٤٢٩	(تفسير سورة الزلزلة)
٤٣١	(تفسير سورة العاديات)
٤٣٢	(تفسير سورة القارعة)
٤٣٣	(تفسير سورة التكاثر)
٤٣٤	(تفسير سورة العصر)
٤٣٥	(تفسير سورة الهمزة)
٤٣٧	(تفسير سورة الفيل)
٤٤١	(تفسير سورة قريش)
٤٤٢	(تفسير سورة الماعون)
٤٤٥	فصل فى شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض
٤٤٨	(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون)
٤٤٩	(تفسير سورة النصر)
٤٥٥	(تفسير سورة أبى لهب)
٤٥٦	(تفسير سورة الاخلاص) فصل فى فضلها
٤٥٩	(تفسير سورة الفلق)
٤٦٠	فصل وقبل الشروع فى التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه (وهو قول عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه أنه يصنع الشئ ولم يصنعه الخ) وما قيل فى السحر وما قيل فى الرقى
٤٦٠	فصل وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه الخ
٤٦٢	(تفسير سورة الناس)

﴿ تمت ﴾

عبد الحافظ عبد الغفار وعلى ملكيته

الجزء الرابع

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء
الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى
الصوفى المعروف بالخازن
تغمده الله برحمته
آمين

وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى عليه سحائب الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العربية الكبرى

على نفقة أصحابها

مصطفى البابى الحلبى وأخويه بكرى وعيسى

(بمصر)

﴿سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل ياسيد يس بالامالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى (والقرآن) قسم و (الحكيم) ذي الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة أو لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أي الذين أرسلوا (٢) على صراط مستقيم أي طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) بنصب اللام شامي وكوفي غير أبي بكر على اقرأ تنزيل أو على انه مصدر أي نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه أو هام ذوي العناد (الرحيم) الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام أولي الرشاد واللام في (لتنذر قوما) متصل بمعنى المرسلين أي أرسلت لتنذر قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أي قوما غير منذر آباهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني أي العذاب الذي أنذره آباؤهم كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا أو مصدرية أي لتنذر قوما انذار آبائهم أي مثل انذار آبائهم (فهم غافلون) ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين أي تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله بقوله (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى بالحجارة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية﴾

وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيء يعني محمد اصلى الله عليه وسلم وقيل ياسيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (انك لمن المرسلين) أي أقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) يعني لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون) أي عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) أي وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا) نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي لير ضخن رأسه

الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع رأسه وهذا الان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فاغشيناهم) فاغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فاتاه وهو يصلى ومعه بحجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بنى مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع جعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ما سينزله الله عز وجل بهم فى النار (فهى) يعنى الايدى (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) أى رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فاغشيناهم) أى فاعميناهم (فهم لا يبصرون) يعنى سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) أى خافه فى السر والعلن (فبشره بمغفرة) أى لذنوبه (وأجر كريم) يعنى الجنة ۞ قوله تعالى (انا نحن نحيى الموتى) أى للبعث (ونكتب ما قدموا) أى من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) أى ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضى الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة ألا تحتسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعنى تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالى الذى لا يستره شئ (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا اذا تحولنا قوله بنى سلمة أى يا بنى سلمة وقوله دياركم أى الزموا دياركم (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم

بالحجارة فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بنى مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع جعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ما سينزله الله عز وجل بهم فى النار (فهى) يعنى الايدى (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) أى رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فاغشيناهم) أى فاعميناهم (فهم لا يبصرون) يعنى سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) أى خافه فى السر والعلن (فبشره بمغفرة) أى لذنوبه (وأجر كريم) يعنى الجنة ۞ قوله تعالى (انا نحن نحيى الموتى) أى للبعث (ونكتب ما قدموا) أى من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) أى ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضى الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة ألا تحتسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعنى تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالى الذى لا يستره شئ (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا اذا تحولنا قوله بنى سلمة أى يا بنى سلمة وقوله دياركم أى الزموا دياركم (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم

بانذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهى العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) أى الجنة (انا نحن نحيى الموتى) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سبئ كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هى

فابعدهم يمشي والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام ۞ قوله عز وجل (وكل شئ أحصيناه) أي حفظناه وعددناه وأثبتناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ ۞ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) أي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعني انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

(ذكر القصة في ذلك)

قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعابهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فجلسا وجلد كل واحد منهما مائتي جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما ليبصر هما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى تطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة

خطاهم الى الجمعة أو الى الجماعة (وكل شئ أحصيناه) عددناه و بيناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ لانه أصل الكتب ومقتداها (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) ومثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي انطاكية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب (اذ) بانه بدل من أصحاب القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان

(اذ) بدل من اذ الاولى (أرسلنا اليهم) أى أرسل عيسى بامرنا (اثنين) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما مال ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبساثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام اكمه فدعوا الله فابصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سران الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم (٥) جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب

فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنا و بولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) أى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعنى الرسل جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ) أى لم يرسل رسولا (ان أنتم الا تكذبون) اى فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أى وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) أى بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) اى تسكتوا عنا (لنرجمنكم) اى لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) أى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم بمعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) معناه اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أى فى ضلالكم وشركم متمادون فى غيكم ۞ قوله عز وجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمنا اذا صدقة يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله و يتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان فى غار يعبد به فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم

أصحاب القرية الرسولين (فعززنا) فقوينا هما فعززنا أبو بكر من عزه يعزه اذا غلبه أى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض فقالوا انا اليكم مرسلون) أى قال الثلاثة لاهل القرية

(قالوا) أى أصحاب القرية (ما أنتم الا بشر مثلنا) رفع بشر هنا ونصب فى قوله ما هذا بشرا لانتقاض النفى بالا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شئ) أى وحيا (ان أنتم الا تكذبون) ما أنتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكد الثانى باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وما علينا الا البلاغ المبين) أى التبليغ الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة بصحته (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالو بشؤم هذا و بركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم أين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال ياقوم اتبعوا المرسلين

اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالى حزة (أأتخذ) بهمزتين كوفى من (دونه آلهة) يعنى الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقزونى فاسمعونى فى الحالين يعقوب (انى اذا) أى اذا اتخذت (لفى ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى لتشهدوا لى به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو فى الجنة

أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) أى لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خيرا الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه واى شئ لى اذا لم اعبد خالقى وأواليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) أى لا أتخذ من دونه الهة (ان يردن الرحمن بضر) أى بسوء ومكروه (لا تغن عنى) أى لا تدفع عنى (شفاعتهم شيأ) أى لا شفاعة لها فتغنى عنى (ولا ينقذون) أى من ذلك المكروه وقيل من العذاب (انى اذا لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر (انى آمنت بربكم فاسمعون) اى فاشهدوا لى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعنى الملائكة (وما كنا منزلين) أى ما كنا لنفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم كان أيسر مما تظنون ۞ ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أى ميتون (يا حسرة على العباد) يعنى يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ۞ ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) ۞ قوله تعالى (ألم يروا) أى ألم يخبروا خطاب لاهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى من الامم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود (انهم اليهم لا يرجعون) اى لا يعودون الى الدنيا فلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يعنى ان جميع الامم يحضرون

ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربى أو بالذى غفر لى (وجعلنى من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أى من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا أن نترل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم أحقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ فى الجملة وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لا محالة

والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وانما أخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أى وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة و بالتشديد مدنى (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل باعيانهما فعومل معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه * ولقد أمر على اللئم يسبنى * (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه يأكلون) قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشئ الذى يتعلق به معظم العيش و يقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) فى الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به (ليأكلوا من ثمره) والضمير

يوم القيامة (وآية لهم) يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى (الارض الميتة أحييناها) أى بالمطر (وأخرجنا منها) أى من الارض (حبا) يعنى الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أى من الحب (وجعلنا فيها) أى فى الارض (جنات) أى بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) أى من الثمر الحاصل بالمال (وما عملته أيديهم) أى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفى والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) أى نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الازواج كلها) يعنى الاصناف كلها (مما تنبت الارض) أى من الاشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) أى الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) يعنى مما خلق الله تعالى من الاشياء فى البر والبحر من الدواب ۞ قوله عز وجل (وآية لهم) يعنى تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) أى ننزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) أى فاذا هم فى الظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجرى لمستقر لها) أى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهى الى أبعد مغار بها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لا مستقر لها أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

الله تعالى أى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حجة وعلى (وما عملته أيديهم) أى ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى ان الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها فى حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق فقيل له فقال أردت كأن ذاك وما عملت كوفى غير حفص وهى فى مصاحف اهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها فى الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لان أصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) وآية لهم الشمس تجرى (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيرة أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا

(ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ولابد فى قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أى قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (لا الشمس ينبغى لها) أى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه أى وكلهم والضمير للشموس والاقمار (فى فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) ذرياتهم مدنى وشامى (فى الفلك المشحون) أى المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات فى برا وبحر أو الآباء لانهم من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهى سفائن البر (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث أو فلا اغاثة (ولا هم ينقذون) لا ينجون (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) أى ولا ينقذون الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التى أبتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة

(٨)

العليم أخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيى الدين النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجرى الى وقت لها وأصل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) أى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى يكل النظر عن استخراجه وتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أى الغالب بقدرته على كل شئ مقدور (العليم) أى المحيط علما بكل شئ ۞ قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أى قدرنا له منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص فاذا كان فى آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذى أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل فى فلك يسبحون) أى والشمس والقمر فى فلك يسيرون ۞ قوله عز وجل (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) يعنى أولادهم (فى الفلك المشحون) أى المملوء (وخلقنا لهم من مثله) أى مثل الفلك (ما يركبون) أى من الابل وهى سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين فى أصلاب الذين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أى من مثل ذلك الفلك ما يركبون أى من السفن والزوارق فى الانهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) أى لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) أى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابى (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) أى الا أن يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم

(لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لان قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركى مكة (أنفقوا مما رزقكم الله) أى تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبى وأصحابه (ماينظرون) ينتظرون (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يخصمون بادغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة اليها و بسكون الخاء مدنى و بكسر الياء والخاء يحيى فاتبع الياء الخاء فى الكسر و بفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم و بعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية)

يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعنى الآخرة (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا و يدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) ۞ قوله عز وجل (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم) أى مما أعطاكم (الله) نزلت فى كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) أى أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) أى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى منى بك و يقول قد منعه أفاطعمه أنا ومعنى الآية انهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا الغنى لا استحقاقا وأمر الغنى بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلوا الغنى بالفقير فيما فرض له من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم الا فى خطأ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنى يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ماينظرون) أى ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أى فى أمر الدنيا من البيع والشراء و يتكلمون فى الاسواق والمجالس وفى متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخارى وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق و يصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعنى يطينه و يصلحه وكذلك يلوط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتا اللليت صفحة العنق وأصغى يعنى أمال عنقه يسمع ۞ وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدرون على الايصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى أهلهم يرجعون) يعنى لا يقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشئ (ونفخ فى الصور) هذه النفخة الثانية وهى نفخة البعث و بين النفختين اربعون سنة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) أى يخرجون منها أحياء (قالوا يا ويلنا

ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أى الكفار (يا ويلنا

من بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ماسمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم و بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الاخيرة (الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر مايقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى و بضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وهو افتضاض الابكار (١٠) على شط الانهار تحت الاشجار أو ضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (فى ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لاتقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة و برام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ماسترك عن الشمس (على الارائك) جمع الاريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها (متكؤن) خبر أوفى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) يفتعلون من الدعاء أى كل مايدعو به أهل الجنة ياتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولايدعون مالايستحقون (سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مما تمناهم ولهم ذلك لايمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون و يسار بهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولايرى أبدا و يقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ماركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم و يزينه لهم (وأن اعبدونى) وحدونى وأطيعونى (هذا) اشارة الى ماعهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أى صراط بليغ فى استقامة ولاصراط أقوم منه (ولقد

من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا ياو يلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لاينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الاصيحة واحدة) يعنى النفخة الاخيرة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) أى للحساب (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون) قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا بما فى الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وأزوجهم فى ظلال) يعنى أكنان القصور (على الارائك) يعنى السرر فى الحجال (متكؤن) أى ذوو اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أى فى الجنة (ولهم مايدعون) يعنى مايتمنون و يشتهون والمعنى ان كل مايدعون أى أهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعنى يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوى باسناده الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم و ينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم مادامو اينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره و بركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقولوا اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت و يردم بابه فيكون فيه أبد الآبدين لايرى ولايرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض ۞ قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يابنى آدم) أى ألم آمركم وأوصكم يابنى آدم (أن لاتعبدوا الشيطان) يعنى لاتطيعوه فيما يوسوس و يزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة (وأن اعبدونى) أى أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) أى لاصراط أقوم منه ۞ قوله تعالى (ولقد

أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على الا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط (فانى يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو

أضل منكم جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعنى ما أتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس وقالهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) أى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) ﴿ قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان أعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح أبلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه قوله أى فل يعنى يا فلان قوله وأسودك أى أجعلك سيدا قوله وأذرك ترأس أى تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أى تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين أى تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أى ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أى لا أقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا أى هلاكا قوله فعنكن كنت أناضل أى أجادل وأخاصم ﴿ قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أى أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) أى فبادروا الى الطريق (فانى يبصرون) أى كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعنى لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصر وارشدهم فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعنى ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فما استطاعوا مضيا) أى لا يقدرون أن يبرحوا (ولا يرجعون)

نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير أو حجارة (على مكانتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون

(ومن نعمره ننكسه) عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشئ أعلاه أسفله الباقون ننكسه (فى الخلق) أى نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه تتزايد الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ (أفلا يعقلون) ان من قدر على أن ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أى وما علمنا النبى عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققته (وما ينبغى له) وما صح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت فما هو الا من جنس كلامه فى الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الياء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أى المعلم (الا ذكر وقرآن مبين) أى ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز

أى الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) أى نرده الى أرذل العمر شبه الصبى فى أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وتنقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان فى ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم فى حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه فى الخلق (أفلا يعقلون) أى فيعتبرون ويعلمون أن الذى قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت ۞ قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغى له أى ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت

* كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا نبى الله انما قال الشاعر

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أخرجه الترمذى وفى رواية لغيره أن عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت أخى بنى قيس طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

أخرجاه فى الصحيحين ولهما من حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

قلت ما هذا الا من كلامه الذى يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل فى وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل فى بحوره (وقرآن مبين) أى انه كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى

الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم فى حكم الاموات (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أى مما توليناه نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والافمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها وهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) أى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك ومشارب من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أى لعل أصنامهم تنصرهم اذا خزبهم أمر (لا يستطيعون) أى آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم (وهم لهم) أى الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) (١٣) يحضرونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم

فى المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) اى يا محمد وقرئ بالياء اى القرآن (من كان حيا) يعنى مؤمنا حى القلب لان الكافر كالميت الذى لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أى وتجب حجة العذاب (على الكافرين) ۞ قوله عز وجل (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أى تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة أحد فى انشائه كقول القائل عملت هذا بيدى اذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التى لا يقدر عليها الا هو (أنعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أى خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بنى آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) أى الابل (ومنها يأكلون) أى الغنم (ولهم فيها منافع) أى من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أى من ألبانها (أفلا يشكرون) أى رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى الاصنام (لعلهم ينصرون) أى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أى الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كانهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أى فى ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أى من عبادة الاصنام

لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء وكسر الزاى نافع من حزنه وأحزنه يعنى فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن والشعر وفى كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعى رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهى عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل فى أبى بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم

(أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أى فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على احياء الميت بعد مارمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفته العظم (ونسى خلقه) من المنى فهو أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أى خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن ثبت الحياة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا ظاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (قل يحييها الذى أنشأها) خلقها أول مرة أى ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا يخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت فى البر والبحر فيجمعه (١٤) ويعيده كما كان (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون)

وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى ﴿ قوله تعالى (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) أى من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) أى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته فى انكاره البعث وكيف لا يتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قذرة وبدع الخصومة نزلت فى ابى بن خلف الجمحى خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى انكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلى ففتته بيده وقال أترى يحيى الله هذا بعد مارم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) أى بدء أمره (قال من يحيى العظام وهى رميم) أى بالية والمعنى وضرب لنا مثلا فى انكار البعث بالعظم البالى حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسى أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى خلقها أول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أى من الابداء والاعادة (عليم) أى يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدأ والمعاد (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) أى تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) يعنى يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أى بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيأ) أى احداث شئ وتكوينه (أن يقول له كن) أى يكونه من غير توقف (فيكون) أى فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) أى هو مالك كل شئ والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أى تردون بعد الموت والله أعلم

تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى أقدر بقوله (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبدأ وليس به (بلى) أى قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث أى فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (الذى بيده ملكوت كل شئ) أى ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعنى هو مالك كل شئ (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا

فوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس امام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا أشبعه الله وان كان ظمآن أرواه الله وان كان عريانا ألبسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان في السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم ﴿سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والصافات صفا فالزجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم سبحانه وتعالى

﴿تفسير سورة والصافات﴾

وهي مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها في الهواء (فالزاجرات زجرا) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا أجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف زواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعني أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك ﴿ وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب ﴿ قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعني التي تلي الارض وهي أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى

﴿تفسير سورة والصافات﴾

وهي مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها في الهواء (فالزاجرات زجرا) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا أجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف زواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعني أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك ﴿ وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب ﴿ قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعني التي تلي الارض وهي أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى

بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصي بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان الهكم لواحد) قيل هو

جواب قولهم أجعل الآلهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو مبتدأ محذوف أي هو رب وما بينهما ورب المشارق أي مطالع الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعني أو على اعمال المصدر منونا في المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أي بان زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بان زان الله الكواكب

وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبى بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير فى (لايسمعون) لكل شيطان لانه فى معنى الشياطين يسمعون كوفى غير أبى بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع و ينبغى أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لايقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى أن لايسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين

سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملا الاعلى) أى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكانه قيل يدحرون أو قذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب أى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعدلهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى (الامن) فى محل الرفع بدل من الواو فى لايسمعون أى لايسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) أى سلب السلبة يعنى أخذ شيأ من كلامهم بسرعة (فاتبعه) لحقه (شهاب) أى نجم رجم (ثاقب) مضىء (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة أو أصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم و يدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق أو لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان مايصنع من الطين غيره موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده مايتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم اياك

السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لايسمعون الى الملأ الاعلى) يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الانس و يوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) أى يرمون بها (من كل جانب) أى من آفاق السماء (دحورا) أى يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) أى دائم (الا من خطف الخطفة) أى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فاتبعه) أى لحقه (شهاب ثاقب) أى كوكب مضىء قوى لايخطئه بل يقتله و يحرقه أو يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولايصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لايصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة ﴿ وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير أى هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فالذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نىء (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشئ وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم من ألمكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من ألمكم الالأشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لايعجب من شئ ولكن وافق

(ويسخرون) هم منك ومن تعجبك أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت جزة وعلى أى استعظمت والعجب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لانه لايجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لايذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لايتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يستدعى بعضهم بعضا ان يسخر منها أو يبالغون فى السخرية (وقالوا ان هذا) ماهذا (الاسحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أى أنبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أوآباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى أى أيبعث واحد منا على المبالغة فى الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هى) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هى الا (زجرة واحدة) وهى لاترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها

وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أى هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بنى آدم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون واذا ذكروا لايذكرون) أى واذا وعظوا لايتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) أى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى ان يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أى بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون) أى صاغرون (فانما هى زجرة واحدة) أى صيحة واحدة وهى نفخة البعث (فاذا هم ينظرون) يعنى أحياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعنى يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أى القضاء وقيل بين المحسن والمسىء (الذى كنتم به تكذبون) أى فى الدنيا (احشروا) أى اجمعوا (الذين ظلموا) أى أشركوا وقيل هو عام فى كل ظالم (وأزواجهم) أى أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أى قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى فى الدنيا يعنى الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أى دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أى احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويروى عنه عن لااله الاالله وروى عن أبى برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره (٣) فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفى رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذى وله عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما له لايفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون (مالكم لاتناصرون) أى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لاينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون)

ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا ياويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أى اليوم الذى ندان فيه أى نجازى باعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذى كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون ياويلنا هذا يوم الدين من

(٣ - (خازن) - رابع) كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أى واشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعى هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وأفعالهم (مالكم لاتناصرون) أى لاينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال أى مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر

(٣) قوله فيما أفناه الخ كذا فى النسخ باثبات الف ما الاستفهامية وهو قليل

(وأقبل بعضهم على بعض) أى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أى انكم تحملوننا على الضلال وتفسرونا عليه (قالوا) أى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة اعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله * فقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك (فاغوينا كم) فدعوناكم الى الغى (انا كنا غاوين) فاردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (١٨) (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أى بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامى وكوفى (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه للتلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (فى جنات النعيم) يجوز ان يكون ظرفا وأن يكون حالا وأن يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكاس) بغير همز أبو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرهما بالهمز يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر

قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لاحيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع (يتساءلون) أى يتخاصمون (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل الدين فتضلوننا وترونا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذى يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين أى عن العزة والقدرة والقول الاول أصح (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أى ضالين (فحق علينا) أى وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعنى كلمة العذاب وهى قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا لذائقون) يعنى ان الضال والمضل جميعا فى النار (فاغوينا كم) يعنى فاضللنا كم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) أى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) يعنى الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم انما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى انه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) أى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أى الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) أى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر

وكأسا

(بيضاء) صفة للكاس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة (للشاربين لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على وحمزة أى لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرت أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فاقبل بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون

على الشراب كعادة الشرب قال

وكأس شربت على لذة * ومعنى معين أى من خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا أثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقىء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شىء من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابسات الاعين غاضات العيون قصرت أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم (عين) أى حسان الاعين عظامها (كأنهن بيض مكنون) أى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور ۞ قوله عز وجل (فاقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة (انى كان لى قرين) أى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون أى لننظر كيف منزلة أخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) أى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشىء سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) أى والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل تغوينى ومن أغوى انسانا فقد أرداه وأهلكه (ولولا نعمة ربى) أى رحمة ربى وانعامه علىّ بالاسلام (لكنت من المحضرين) أى معك فى النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) أى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا

وما بقيت من اللذات الا
احاديث الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عما جرى لهم
وعليهم فى الدنيا لانه جىء
به ماضيا على ما عرف فى
اخباره (قال قائل منهم انى
كان لى قرين يقول أئنك
بهمزتين شامى وكوفى
(لمن المصدقين) بيوم الدين
(أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون)
لمجزيون من الدين وهو
الجزاء (قال) ذلك القائل
(هل أنتم مطلعون) الى
النار لارى كم ذلك القرين
قيل ان فى الجنة كوى
ينظر أهلها منها الى أهل
النار وقال الله تعالى لاهل
الجنة هل أنتم مطلعون
الى النار فتعلموا أين منزلتكم
من منزلة أهل النار
(فاطلع) المسلم (فرآه)
أى قرينه (فى سواء الجحيم)

فى وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذا حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت الا موتة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (ان هذا) أى الامر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل

(لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نزلا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أي نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية

عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أي من طلعها (فمالؤن منها البطون) فمالؤن بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) خلطا ومزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ماء هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أي انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يمتلؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم في الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعني الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذورهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الذين أنذروا وحذروا أي أهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) أي الا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين * ولما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله اني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن

الكلام ليزداد واسرورا بتكراره وقيل يقول المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب في ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته ۞ قوله تعالى (أذلك) أي الذي ذكره لاهل الجنة من النعيم (خير نزلا) أي رزقا (أم شجرة الزقوم) التي هي نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من أخبث الشجر (انا جعلناها فتنة للظالمين) أي للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبو جهل بيته وقال يا جارية زقينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقوا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي في قعر النار وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) أي ثمرها سمي طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الاشياء في الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

أتقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب أغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) أي من ثمرها (فمالؤن منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) أي خلطا ومزاجا (من حميم) أي من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم ألفوا) أي وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) أي من الامم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) أي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى أنظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أي دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون)

الاجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب و يافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فى العالمين) أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزى المحسنين) علل مجازاته بتلك الكرمة السنية بانه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجىء بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافههم بانهم على افك و باطل فى شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا به أى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك فى نفسها أو حالا أى اتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أى شىء ظنكم (برب العالمين) وأنتم تعبدون غيره مارفع بالابتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة فى النجوم) أى نظر فى النجوم رأسا ببصره الى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم انه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاوهمهم أنه استدل بامارة على أنه يسقم (فقال انى سقيم) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهرب بوامنه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم حق ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى سأسقم أو من الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه أو أراد انى سقيم النفس لكفركم كما يقول أنا مريض القلب من كذا

نحن أى دعانا فاجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أى من الغم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعنى ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه فى الآخرين) أى أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) أى سلام عليه منا فى العالمين وقيل تركنا عليه فى الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزى المحسنين) أى جزاه الله باحسانه الثناء الحسن فى العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعنى الكفار ۞ قوله عز وجل (وان من شيعته) أى من شيعة نوح (لابراهيم) يعنى انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) أى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتأفكون افكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون و يتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم و يقربون لهم القرابين و يضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم لا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس أى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة

(فتولوا) فاعرضوا (عنه مدبرين) أى مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) وكان عندها طعام (مالكم لا تنطقون) والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (باليمين) أى ضربا شديدا بالقوة لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم (يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف اذا دخل فى الزفيف ازفافا فكانه قد رآه بعضهم يكسرها و بعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فاجابهم بقوله (قال أتعبدون ما تنحتون) بايديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فالقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فاراد وابه كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالقاء فخرج من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى و يعصمنى ويوفقنى فيهديني فيهما يعقوب (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه) وروى بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ أوان الحلم لان الصبى لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر نبيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يابنى) حفص والباقون بكسر الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) و بفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمر وقيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك

الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) أى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أى مال (الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للاصنام استهزاء بها (الا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (مالكم لا تنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أى ضربهم بيده اليمنى لانها أقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) أى الى ابراهيم (يزفون) أى يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) أى بايديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فاراد وابه كيدا) أى شرا وهوان يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) أى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) أى الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو أرض الشأم فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) أى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش و يتنهى فى السن حتى يوصف بالحلم ۞ قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه و يعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام

وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسير شهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن أبى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى أمر بذبح من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح وبما ذكرأيضا فى كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يامره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أى ابنى ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يامعشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذى أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضا ان قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذى نفسى بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح أ اسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

﴿ذكر الاشارة الى قصة الذبح﴾

قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لى من الصالحين وبشر به قال هو اسحق ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب فى أمر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زارها جر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى نفسه أى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك (فانظر ماذا ترى) أى من الرأى على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره فى أمر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما

من المصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر ترى على وحزة أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه

قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به وقرئ به (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح روى أن الذبيح قال لابيه يا أبت خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتى لا أوذيك اذا أصبتني الشفرة ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي عسى أن ترحمني واجعل وجهي الى الارض ويروى اذبحني وأنا ساجد واقرأ على أمي السلام وان رأيت ان ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقاد الامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا روى ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه

شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقي البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى في الدلالة ورؤيا الانبياء وحي وحق (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي قال الغلام لابيه افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعل ما تؤمر (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما أسلما) يعني انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) أي صرعه على الارض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطي كيلا أضطرب وأكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واسحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيأ فقيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول أبلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبني لوجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان في صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت ان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا أن يذبحك قال ولم قال ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيأ مما أراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه) أي فنودي من الجبل (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما

(انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتخويل ماخولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لسارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى وروى أنه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الابل ولان قرنى الكبش كانا منوطين فى الكعبة فى أيدى بنى اسمعيل الى أن احترق البيت فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعى أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن على وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضى الله عنهم انه اسحق ويدل عليه كتاب الله بن ابراهيم خليل الله وانما يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح

كان تصديقها الوحصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه وجهوده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو اسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (انا كذلك نجزى المحسنين) يعنى جزاه الله باحسانه فى طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزى المحسنين فى طاعتنا (ان هذا لهو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى فى الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الذى قربه ابن آدم فقبل حق له أن يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل لعظمه فى الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه فى الآخرين) أى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) ۞ قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أى بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرنا بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ (وباركنا عليه) يعنى على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) أى بكون اكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن (وظالم لنفسه) أى كافر (مبين) أى ظاهر الكفر وفيه تنبيه

قيل وفديناه وان كان الفادى ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به وههنا اشكال وهو أنه لا يخلو اما أن يكون ما أتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه فى حكم الذبح أم لا فان كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله

(٤ - (خازن) - رابع) قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها الوصح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس اسماعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذى أضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب فى آخر الحال على ان المبتغى منه فى حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكررا بالفداء الحاصل لمعرفة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لا قبله وقد سمى فداء فى الكتاب لا نسخا (وتركنا عليه فى الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزى المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما فى غيره لانه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحها كتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف بشرناه أى وبوجود اسحق نبيا أى بان يوجد مقدرا نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لان كل نبى لا بد وأن يكون من الصالحين (وباركنا عليه وعلى اسحق) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بان أخرجنا من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين)

على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن ۞ قوله عز وجل (ولقد منناعلى موسى وهارون) أى أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) يعنى الذى كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق (ونصرناهم) يعنى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أى على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعنى التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) أى دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما فى الآخرين) أى الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ۞ قوله عز وجل (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود أنه قال الياس هو ادريس وكذلك هو فى مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبى من أنبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

﴿ذكر الاشارة الى القصة﴾

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبى عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان لياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فاخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما فى جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى الى الشعاب والكهوف فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف فى الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى ومجتبى فى أرضى وصفوتى من خلقى سلنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد ملت بنى اسرائيل وملونى فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذى أعرى منك الارض وأهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى أعطك فقال الياس ان لم تمتنى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل قال الله عز وجل وأى شئ تريد أن أعطيك قال تملكنى خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتى فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم بخلقى من ذلك وان

أمرهما على العرف والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم فى أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (ولقد منا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبى عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وان ادريس فى موضع الياس

كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي ولكن أعطيك ثارك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شئ أعيش يارب فال أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فر الياس بعجوز فقال لها اعندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه آوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر وأسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يارب دعني أكن أنا الذي ادعوهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقال له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوتم الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد أهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ماتامرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته أربيل في الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبا الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل وأوحى اليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السدي عن يحيى ابن عبد العزيز عن أبي رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا) يعني أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أي وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدون (الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون) أي في النار (الا عباد الله المخلصين) أي من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل

(اذ قال لقومه ألا تتقون) ألا تخافون الله (أتدعون) أتعبدون (بعلا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشأم وقيل في الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بنصب الكل عراقي غير أبي بكر وأبي عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) في النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) أي الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخيبون يعني أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامي ونافع لان ياسين اسم أبي الياس فاضيف اليه الآل

(انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليه مصبحين) داخلين فى الصباح (و بالليل) والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) الاباق الهرب الى حيث لا يهتدى اليه الطالب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء

محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس وأتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) ۞ قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) أى أهلكنا (الآخرين وانكم) أى يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أى على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أى فى وقت الصباح (و بالليل) أى و بالليل فى أسفاركم (أفلا تعقلون) أى فتعتبرون بهم ۞ قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) أى من جملة رسل الله تعالى (اذ أبق) أى هرب (الى الفلك المشحون) أى المملوء قال ابن عباس و وهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأة وابنان له فجاء مركب فاراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه و بين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) أى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه لى يوم يبعثون أى صار بطن الحوت قبره الى يوم القيامة ۞ قوله عز وجل (فنبذناه) أى طرحناه انما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) أى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان

وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم) داخل فى الملامة (فلولا انه كان من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة و يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فالقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يظلب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس

الذباب

(وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) فى مرآى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) أى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولائم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كالم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أومعناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فاتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (و بين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بناته أوقالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء و بين ماوقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله

الذباب لايجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولاتحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل أرسله الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (أو يزيدون) قال ابن عباس معناه و يزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أوعلى أصلها والمعنى أو يزيدون فى تقدير الرائى اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا ويعضده ما روى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم ۞ قوله عز وجل (فاستفتهم) أى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة و بنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أى حاضرون خلقنا اياهم (ألا انهم من افكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) أى فيما زعموا (أصطفى البنات) أى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) أى أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين على ان لله ولدا (فاتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم (وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لايحضرون (فانكم) يعنى يا أهل مكة (وما تعبدون) أى من الاصنام (ما أنتم عليه)

(بفاتنين) بمضلين (الامن هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الا الصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما أنتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين الا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة ومافى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (ومامنا) أحد (الاله مقام معلوم) فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح

ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان من أهل النار وكيف نكون مناصبين لرب العزة ومانحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ومامن المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز هذا عليه (وان كانوا ليقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (ان عندنا ذكرا لو من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ماغلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو

أى على ما تعبدون (بفاتنين) أى بمضلين أحدا (الامن هو صال الجحيم) أى الا من سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار ۞ قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الا له مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومامنا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس مافى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث مافى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم أى فى القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) يعنى الملائكة صفوا اقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض (وانا لنحن المسبحون) أى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار ۞ قوله عز وجل (وان كانوا ليقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) أى لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) أى فلما أتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم ۞ قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) أى بالحجة البالغة (وان جندنا) أى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) أى لهم النصرة فى العاقبة (فتول) أى أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أى اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) أى ذلك فعند ذلك قالوا متى

للوعيد لا للتبعيد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذروا الا ان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فانكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصروهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة)

هذا العذاب قال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعنى العذاب (بساحتهم) أى بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أى فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيد الوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم فى الدنيا وهذه ذكر أحوالهم فى الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أى العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أى الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) أى عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) أى الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) أى على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يبخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة ص﴾ ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهى مكية وهى ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذى الذكر) قال ابن عباس أى ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحان وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع

أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد انه مامن عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله نعز من نشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم

ختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يبخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه ومن أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية كوفى وتسع بصرى وست مدنى) (بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كانه قال (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف انه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كانه قال هذه ص أى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كانه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا

فى عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها الا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعند هما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول

من أنفسهم ينذرهم يعنى استبعدوا أن يكون النبى من البشر (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى ان عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى (ما سمعنا هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألونى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا أى أصير ان هذا الشئ عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب ما لا مثل له (وانطلق الملأ منهم أن امشوا) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الامر (لشئ يراد) أى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وأن هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه

القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز الآية ان الله تعالى أقسم بصاد والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة فى عزة أى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أى خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الامم الخالية (فنادوا) أى استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص أى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص أى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) ۞ قوله عز وجل (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى أبى طالب فأتوا الى أبى طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فارسل اليه أبو طالب فدعا به فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونى قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا لشئ عجاب) أى عجب (وانطلق الملا منهم) أى من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب (أن امشوا) أى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) أى اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا لشئ يراد) أى لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضى الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا

ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ماهذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم و ينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن بل لما يذوقوا عذاب بل هم لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد حينئذ أى انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعنى ماهم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا و يصرفوها عمن شاؤا و يتخير والنبوة بعض صناديدهم و يترفعوا بها عن محمد وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى الذى يقسمها على ماتقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) حتى يتحكموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم نهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق

(ماسمعنا بهذا) أى بالذى يقوله محمد من التوحيد (فى الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهى دينهم الذى هم عليه (ان هذا الا اختلاق) أى كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) أى القرآن (من بيننا) أى يقول أهل مكة ليس هو باكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) أى وحيى وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أى لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) أى فى ملكه (الوهاب) الذى وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أى ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) يعنى ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحى الى من يختارون وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ماهنالك) أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك (مهزوم) أى مغلوب (من الاحزاب) يعنى ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو فى عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعنى انهم يقوون أمره و يشدون ملكه كما يقوى الوتد الشئ وسميت الاجناد أوتادا لكثرة المضارب التى كانوا يضربونها و يوتدونها فى أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) أى الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركى قريش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الا كذب الرسل

والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الاسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أو الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدأ (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب

فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذو الاوتاد) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد فى يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين الكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها و بين المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا و بالاستثنائية ثانيا ومافى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق

أشد العقاب وابلغه ثم قال (فحق عقاب) اى فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب (وماينظر هؤلاء) ومايتنظر أهل مكة و يجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الاصيحة واحدة) أى النفخة الاولى وهى الفزع الاكبر (مالها من فواق) وبالضم حمزة وعلى أى مالها من توقف مقدار فواق وهو مابين حلبتى الحالب أى اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لاتثنى ولاتردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب وأصل القط القسط من الشئ لانه قطعة منه من قطعه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على مايقولون) فيك

وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عتاب الله مالقى (ذا الايد) ذا القوة فى الدين ومما يدل على ان الايد القوة فى الدين قوله (انه أواب) أى رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل ولذى لايدرى انه كان يصوم يوما و يفطر يوما وهو أشد الصوم و يقوم نصف الليل (انا سخرنا) ذللنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسبحن) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال (بالعشى والاشراق) أى فى طرفى النهار والعشى وقت العصر الى الليل والاشراق الى وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ وهو وقت الضحى وأما شروقها لمطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله و يديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح

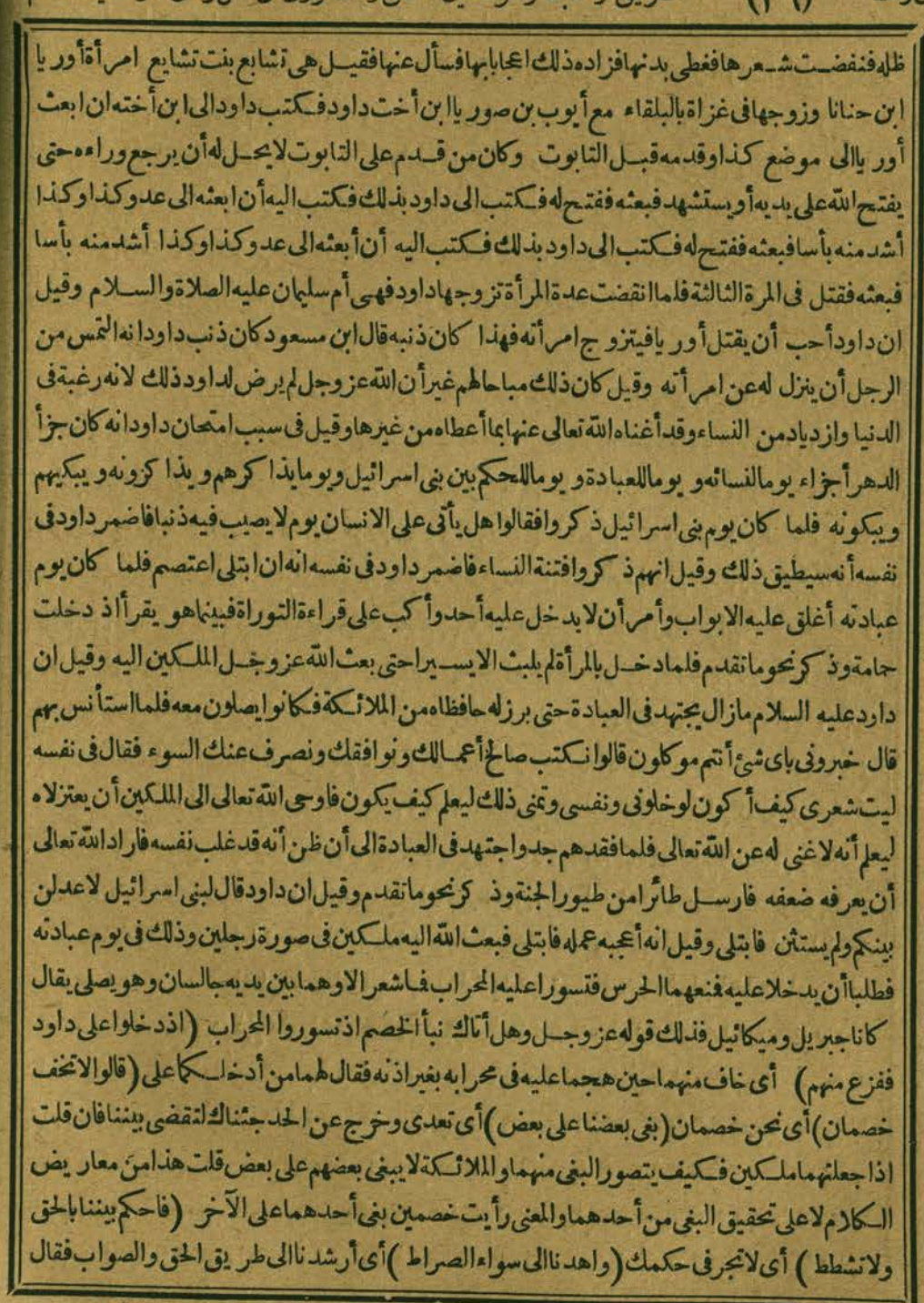
فحق عقاب) يعنى ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفى الآية زجر وتخويف للسامعين (وماينظر) أى ينتظر (هؤلاء) يعنى كفار مكة (الاصيحة واحدة مالها من فواق) أى رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أى حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى حصرت كل شئ قيل لما نزلت فى الحاقة فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا أى حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على مايقولون) أى على مايقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة فى العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما و يفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه وقيل معناه ذا القوة فى الملك (انه أواب) أى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) أى بتسبيحه اذا سبح (بالعشى والاشراق) أى غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس و يتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى والاشراق قال كنت أمر بهذه الآية لاأدرى ماهى حتى حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذى أخرجاه فى الصحيحين من حديث أم هانئ فى صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا يا أم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال ماحدثنا أحد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود ۞ قوله تعالى والطير) أى وسخرنا له الطير (محشورة) أى مجموعة اليه تسبح معه (كل له أواب) أى رجاع

(وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فان من تكلم فى الامر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد

الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) أى قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من بنى اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبنى بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فأوحى الله الى داود فى منامه أن يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الى أن أقتلك فقال تقتلنى بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعنى النبوة والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبى بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع فى كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام ۞ قوله عز وجل (وهل أتاك) أى وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أى خبر الخصم فاستمع له نقصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) أى صعدوا وعلوا المحراب أى البيت الذى كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفى الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام * واختلف العلماء باخبار الانبياء فى سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما ما قاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة فى بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط

الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا فأمر أن يقدم أمام التابوت فقتل وقيل خطبها داود فأكثر أهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه ومما يحكى انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين



ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فازداد ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى تشابع بنت تشابع امرأة أوريا ابن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن أبعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه قال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة فى الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر أجزاء يوما للنساء ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام مازال يجتهد فى العبادة حتى برزله حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال خبرونى باى شئ أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف أكون لو خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة الى أن ظن أنه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لا عدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فاشعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من أدخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أى أرشدنا الى طريق الحق والصواب فقال

لهما

وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل

أن التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان هذا اخى) هو بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) ولى حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصوير للمسئلة وفرضا لها لا يمتنع ان يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين الا أربعة ولاربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه ويعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل ان مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد ان آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أى علم وأيقن وانما استعير له لان الظن الغالب يدانى العلم (أنما فتناه) ابتليناه

لهما داود تكلما فقال أحدهما (ان هذا أخى) أى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) أى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بنى (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أى أعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه أفصح منى فى الكلام وان حاربا كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع أوريا وزوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أى بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (وقليل ماهم) أى هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أى أيقن وعلم (انما فتناه) أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه انما عنى به وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم ففظع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود

﴿فصل﴾ فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم فان قلت فى الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام ما زاد على ان قال للرجل أنزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق أن أوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة وطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم ۞ قوله عز وجل (فاستغفر ربه) أى سأل ربه الغفران (وخر راكعا) أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

﴿فصل﴾ اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى

(فاستغفر ربه) لزلته (وخر راكعا) اى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على ان الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة

سجدة ص رويتان وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس أسجد في ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر أن يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود وقوله تشوف الناس يعني تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور الهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باي قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهي من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي انا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصابه سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك هواني سبحان خالق النور الهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فاجيب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئته بشيء فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء انى قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى الله تعالى اليه يا داود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالتعنت آلا أعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا نبي الله أليس

قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لما كان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عبدي فيقول يارب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال يارب الآن قد عرفت انك غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (وأناب) أي رجع (فغفرنا له ذلك) أي الذنب (وان له عندنا) أي يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) أي لقربة ومكانة (وحسن مآب) أي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسبح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوحون معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا أو استغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك ۞ قوله عز وجل (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) أي لتدبر أمر الناس بامرنا فاحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي لا تميل مع ما تشتهي اذا خالف أمر الله تعالى

(وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع (فغفرنا له ذلك) أي زلته (وان له عندنا لزلفى) لقربى (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) أي استخلفناك على الملك في الارض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أي بحكم الله ان كنت خليفة أو بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي هوى النفس في قضائك

(فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أى ما خلقنا هما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعنى القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا قرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على مافيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ بالقرآن أولو العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى سليمان وقيل داود ولبس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أى كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون فى الهجان وانما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا الى الله فبقى مائة فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بامره

(فيضلك عن سبيل الله) أى عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء ۞ قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لاثوابا ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لاشئ (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى الآخرة (كتاب أنزلناه اليك) أى هذا كتاب يعنى القرآن أنزلناه اليك (مبارك) أى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فى أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى أوامره ونواهيه (وليتذكر) أى وليتعظ (أولوا الالباب) أى ذوو العقول والبصائر ۞ قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فاقبل فضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى فى أيدى الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بامره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء فى الحديث من سره أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من

(فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجاج فاحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال أبو على أحببت بمعنى جلست من احباب البعير وهو بروكه حب الخير أى المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) والذى دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولابد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام (ردوها على) أى قال للملائكة ردوا الشمس على لاصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) جعل يمسح مسحا أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعنى بقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها أو شكر الرد الشمس وكانت الخيل ما كولة فى شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه

النار أى قياما الجياد أى الخيار السراع فى الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال انى أحببت حب الخير) أى آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود فى نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى صلاة العصر (حتى توارت) أى استترت الشمس (بالحجاب) أى مايحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) أى ردوا الخيل على (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والاعناق) أى جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على ماقاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بامر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق للالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنى لاأحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه أراد أن يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم شئ من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول أن يدعى ان لفظ الآية لايدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرناه ظهورا لايرتاب عاقل فيه المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ۞ قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) أى اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لايمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيأ من نسائه وكانت على منزلتها عنده لايذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لايذهب والدمع الذى لايرقأ قالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ماتراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصورو الى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فامر

سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له و يسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا و بلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أى ساعة أراد دخول شئ من بيوته دخل حاضرا سليمان أو غائبا فأتاه فقال يا نبى الله كبرسنى و رق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال آصف ان غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة و ولائدها ثم أمر بثياب الظهيرة فاتى بها وهى ثياب لا يغزل لها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو و يستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان اذا دخل الخلاء أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه صخر المارد فى صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمى أمينة فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمى قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب و يقولون انظروا الى هذا المجنون أى شئ يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق و يعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بارغفة و يشوى الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن فى داره ثم ان آصف وعظماء بنى اسرائيل أنكروا واحكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف يا معشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم فقال امهلونى حتى أدخل على نسائه فاسألهن هل أنكرن من خاصة أمره ما أنكرنا فى عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال و يحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشد ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان لله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة أشد مما فى العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض

الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم تنفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله أو نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشياطين فالقي ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام في تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون (لاحد من بعدي) أي دوني وبفتح الياء مدني وأبو عمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان فسأل قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولم يكن معجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب

الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فاتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه في البحر * وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام أن جرادة كانت أبر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر وانحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام آصف في ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم تنفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ ألقي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لي) أي سأل ربه المغفرة (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) أي لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري (انك أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص

فسخرنا له الريح) الرياح أبو جعفر (تجرى) حال من الريح (بامره) بامر سليمان (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وهو حال من ضمير تجرى (حيث) ظرف تجرى (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أى سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ماشاء من الابنية (وغواص) أى ويغوصون له فى البحر لاخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل (مقرنين فى الاصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذى أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فاعط منه ماشئت من المنة وهى العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان اذا أعطى أجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أى هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير

فسأل شيأ يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا ۞ قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء) أى لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) أى حيث أراد (والشياطين) أى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) أى يبنون له ما يشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الاصفاد) أى مشدودين فى القيود سخرناه حتى قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) أى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) أى أحسن الى من شئت (أو أمسك) أى عمن شئت (بغير حساب) أى لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعة الاسليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم نخل عنه أو أمسك أى احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه فى الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه فى الآخرة ۞ قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) أى بمشقة (وعذاب) أى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعنى أنه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أى اضرب (برجلك) يعنى الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أى انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لاولى الالباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر

فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق أو أمسك من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لا حساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم ان والخبر له والعامل فى عند الخبر (واذكر عبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا أو عطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أنى مسنى) بانى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولولم يحك لقال بانه مسه لانه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يزيد تثقيل نصب ينصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هينة واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل أتى اليه الشيطان أن الله لا يبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أنه ذبح شاة فاكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (أركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أى أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أى اضرب برجلك الارض وهى أرض الجابية فضرب بها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ما تغتسل به وتشرب منه فبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى باعيانهم وزاد مثلهم (رحمة منا وذكرى لاولى الالباب) مفعول لهما أى الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه من الصبر رغبهم فى الصبر على البلاء

(وخذ) معطوف على أركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحنث) وكان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فخفل الله يمينه باهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة والسبب فى يمينه انها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فخرج صديده وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكا الى الله ما به واسترجعه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان (نعم العبد) أيوب (انه أواب واذكر عبادنا) عبدنا مكى (ابراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة بالايدى أو كان العمال جذماء لا أيدى لهم

فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) أى ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه فى ضرب بها وسهل له الامر وأمره بان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهو ذلك لايوب خاصة أم لا فيه قولان أحدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح والثانى انه خاص بايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (انا وجدناه صابرا) أى على البلاء الذى ابتليناه به (نعم العبد انه أواب) ۞ قوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) أى اذكر صبرهم فابراهيم ألقى فى النار فصبر واسحق أضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (أولى الايدى) قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله تعالى (والابصار) أى فى المعرفة لله تعالى وقيل المراد باليد أكثر الاعمال وبالبصر أقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار (انا أخلصناهم) أى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعنى لمن الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل) أى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الاخيار) ۞ قوله عز وجل (هذا ذكر) أى الذى يتلى عليكم

وعلى هذا ورد قوله (أولى الايدى والابصار) أى أولى الاعمال الظاهرة والفكر الباطنة كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى فى محل النصب أو الرفع باضمار أعنى أو هى أو الجر على البدل من خالصة والمعنى انا خلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو دين الانبياء عليهم السلام أو معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدنى ونافع وهى من اضافة الشئ الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغيرها ذكرى مصدر مضاف الى المفعول أى باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهى مضافة الى الفاعل أى بان خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخرا نما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كاموات فى جمع ميت أو ميت (واذكر اسمعيل واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف اليه أى وكلهم (من الاخيار هذا ذكر

وان للمتقين لحسن مآب) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها فى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها الا ان الاول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات أسنانهن كأسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كان اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون) وبالياء مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا لرزقنا ماله من نفاذ) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر والمبتدا محذوف أى الامر هذا

أوهذا كما ذكر (وان للطاغين لشر مآب) مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دفعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وآخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعوله مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا

ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها افتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعد به المتقون (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) أى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه ﴿قوله تعالى﴾ (هذا) أى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحبا بهم) أى الاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) أى قال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا

فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه اذ ضعف ٧ ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لانرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار) من الارذال الذين لاخير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أى مالنا لانراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم

بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم (ان ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لصدق كائن لامحالة لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم ومايجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يامحمد لمشركى مكة (انما أنا منذر) ماأنا الا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (ومامن اله الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لااله الا الله (الواحد) بلا ند ولاشريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما

أى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وأفاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم) أى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم أشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) يعنى ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أى أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) أى الذى ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أى فى النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لامرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة

قوله عز وجل (قل) أى يامحمد لمشركى مكة (انما انا منذر) أى مخوف (ومامن اله الا الله الواحد) يعنى الذى لاشريك له فى ملكه (القهار) أى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (أنتم عنه معرضون) أى لاتتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وان ماجئت به لم أعلمه الا بوحى من الله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى) يعنى الملائكة (اذ يختصمون) يعنى فى شان آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز أن يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لاتليق ولاتمكن قلت لاشك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الى) أى انما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى (الا انما أنا نذير مبين) يعنى الا انما أنا نبى أنذركم وأبين لكم ماتأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى ربى فى أحسن صورة قال أحسبه قال فى المنام فقال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أو قال فى نحرى فعلمت مافى السموات ومافى الارض قال يامحمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يامحمد اذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس

بينهما) له الملك والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لايغلب اذا عاقب نيام
(الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا متذرا وان الله واحد لاشريك له (نبأ عظيم) لايعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لى) حفص (من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بان ماينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم أمر ماكان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم مالم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى لانبى

نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

﴿فصل فى الكلام على معنى هذا الحديث﴾ وللعلماء فى هذا الحديث وفى أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان * أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * المذهب الثانى هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقى هذا حديث مختلف فى اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن ابن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمى عن يحيى عن زيد عن جده مطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكى عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال فى المنام ورواه قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخارى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى له حديث واحد الا أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقى وقد روى من طرق كلها ضعاف وفى ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان فى المنام فاما تأويله فان الصورة هى التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون البارى تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتانى ربى فى أحسن صورة يحتمل وجهين * أحدهما وأنا فى أحسن صورة كانه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعد ذلك لشدة الوحى وثقله * الوجه الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال فى صفات الله تعالى انه جميل ومعناه أنه مجمل فى أفعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهى فى العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يديه بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فتاويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان فى المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية البارئ عز وجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة فى الكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد

أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس لى غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أى الا هذا القول وهو ان أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعى شيأ آخر وقيل النبا العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملأ الاعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم

(اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشرا من طين) وقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء بدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فافادانهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباء الامر (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدى) أى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظاما لخطابى وقد مر ان ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو

ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين الله يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (استكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أى مطرود تكبر ابليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى أى ابعادى من كل الخير (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أولما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فاولى أن تكون عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرنى) فامهلنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)

سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم ۞ قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) أى أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) أضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) أى تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى توليت خلقه (استكبرت) أى تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنتم من العالين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه واخطأ ابليس فى القياس لان مآل النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) أى مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجىء يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه (قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم

المخلصين) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قال فالحق) بالرفع كوفى غير على على الابتداء أى الحق منى أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب على انه مقسم به كقوله الله لافعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب باقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لاملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لاأترك منهم أحدا (قل ما أسئلكم عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحى (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندى حتى انتحل النبوة واتقول القرآن (ان هو) ما القرآن (الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحى الى

فانا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى مالا ينال ويقول مالا يعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

﴿سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب) أى القرآن مبتدأ خبره (من الله) أى نزل من عند الله أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين) أى مخلصا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا (الا لله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر أى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فيما هم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فلم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدى

المخلصين قال فالحق والحق أقول) أى أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه (لاملأن جهنم منك) أى بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم أجمعين) يعنى من بنى آدم (قل ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (وما أنا من المتكلفين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخارى (ان هو) يعنى القرآن (الا ذكر) أى موعظة (للعالمين) أى للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعنى أنتم يا أهل مكة (نبأه) أى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزمر﴾

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى لم تنزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) أى الطاعة (ألا لله الدين الخالص) أى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعنى قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين (ان الله لا يهدى) أى يرشد

من هو كاذب كفار) أى لا يهدى من هو فى علمه أنه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولد اعقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) نزه ذاته عن أن يكون له أحد مما نسبوا اليه من الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى أنه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والاولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكوّرها والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار أو أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) أى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) أى جعل عن الحسن أو خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها أو لانها لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكر وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة الانعام والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين أنه غنى عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وانتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان

لدينه (من هو كاذب) أى من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) أى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) أى لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) أى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) أى الغالب الكامل القدرة ۞ قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم أتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) يعنى الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الاصناف خلقت فى الجنة ثم أنزلت الى الارض (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم أتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الامهات وانما قال فى بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أى الذى خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) أى لا لغيره (لا اله الا هو) أى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فأنى تصرفون) أى عن طريق الحق بعد هذا البيان ۞ قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غنى عن جميع العالمين

(ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس برضا الله تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم باعمالكم ويجازيكم عليها (انه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (واذا مس

العالمين فلو كفروا واصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ۞ ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى أنه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وان تشكروا) أى تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) أى فى الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا (انه عليم بذات الصدور) أى بما فى القلوب ۞ قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر) أى بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) أى راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسى) أى ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الاصنام (ليضل عن سبيله) أى ليردع عن دين الله تعالى (قل) أى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أى فى الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر (أمن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله أندادا خير أمن هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن عمر أنها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمار وسالم وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء الليل) أى ساعات الليل أوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) أى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أى يخاف (الآخرة ويرجو رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين

الانسان) هو أبو جهل أول كافر (ضر) بلاء وشدة والمس فى الاعراض مجاز (دعا ربه منيبا اليه) راجعا الى الله بالدعاء لا يدع غيره (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسى ما كان يدعو اليه من قبل) أى نسى ربه الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى أو نسى الضر الذى كان يدع الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) أمثالا (ليضل) ليضل مكى وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) أى الاسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أى فى الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرئ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص

والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جزى ذكرى الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير فى قانت (يحذر الآخرة) أى عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لاعمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون أمنا والخوف اذا جاوز حده يكون ايأسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قل هل يستوى الذين

يعلمون والذين لا يعلمون) أى يعلمون و يعملون به كانه جعل من لا يعمل غير عامل وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون و يقتنون فيها ثم يقتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى (انما يتذكر أولوا الالباب) جمع لب أى انما يتعظ بوعظ الله أولوا العقول (قل يا عباد الذين آمنوا) بلا ياء عند الاكثر (اتقوا ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية

ومعنى (وأرض الله واسعة) أى لا عذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بانهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان أرض الله واسعة و بلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرهما من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أى موفرا (قل انى أمرت أن أعبد الله) بان أعبد الله (مخلصا له الدين) أى أمرت باخلاص الدين (وأمرت لان أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل ان أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقا فالاول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما تزلا منزلة المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام ألا تنظر الى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم

يعلمون) أى ما عند الله من الثواب والعقاب (والذين لا يعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر أولو الالباب) قوله تعالى (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من أمر بالمعاصى فى بلد فليهرب منه وقيل نزلت فى مهاجر الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال على بن أبى طالب كل مطيع يكال له كيلا و يوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان و يصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل ۞ قوله عز وجل (قل) يا محمد (انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى مخلصا له التوحيد أى لا أشرك به شيأ (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أى من هذه الامة قيل أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذى اتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره أولى بذلك (قل الله أعبد مخلصا له دينى) فان قلت ما معنى التكرار فى قوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وفى قوله قل الله أعبد مخلصا له دينى قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بانه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بانه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لان قوله أمرت ان أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم

(وأهليهم) أي وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لانهم أضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهى ظلل الآخرين أى النار محيطة بهم (ذلك) الذى وصف من العذاب أى وذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت

مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرجوت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وأنابوا) رجعوا (الى الله لهم البشرى) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وانما أرادبهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا فى الدين

(وأهليهم) يعنى أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين أهله (ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) أى أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أى فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول أنه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثانى أن الذى تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته فى النار لانها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (ياعباد فاتقون) أى فخافون ۞ قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعنى الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) أى فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر وأما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) يعنى القرآن (فيتبعون أحسنه) أى أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسى (أولئك الذين هداهم الله) أى الى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولو الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل هؤلاء فى النار ولا أبالى (أفأنت تنقذ من فى النار) أى لا تقدر عليه قال ابن

يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) أى المنتفعون بعقولهم (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أى وجب أفأنت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة ومعناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه فانت تنقذه أى لا يقدر أحد ان ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه انه من أهل النار

(لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت منازلها (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد وينابيع

عباس رضى الله عنهما يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعد الا يخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقى فى الافق أى فى ناحية المشرق أو المغرب ۞ قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) أى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبى وكل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أى مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه) أى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) ۞ قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أى على يقين وبيان وهداية روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال قلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها الذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه الا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (أولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل ۞ قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه واما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا

نصب على الحال أو على الظرف وفى الارض صفة لينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (ان فى ذلك) فى انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لاولى الالباب) لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أى وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه

متشابها

حذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم (أولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) فى ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه

(متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثانى) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا متشابهة وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته ألا ترى تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه

(تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآياته وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كأنه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه فلا صالة رجته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت

متشابها) أى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا (مثانى) أى يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهى والاخبار والاحكام (تقشعر) أى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) أى القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) أى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) أى يهديه قوله عز وجل (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار وقيل يرمى به فى النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على

الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) يخلق الضلالة فيه (فماله من هاد) الى الحق (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه

(وقيل للظالمين) أى تقول له خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فاتاهم العذاب من حيث لايشعرون) من الجهة التى لايحتسبون ولايخطر ببالهم أن الشر ياتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجؤا من مأمنهم (فاذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لوكانوا يعلمون) لآمنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المدح

(٥٨)

وجهه لايطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) أى وبال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فاتاهم العذاب من حيث لايشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فاذاقهم الله الخزى) أى العذاب والهوان (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ۞ قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (قرآنا عربيا) أى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولامخلوق (لعلهم يتقون) أى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية الاولى على التقوى فى هذه الآية قلت سبب تقديم التذكر أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على خوى الشئ واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه ۞ قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لايرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) أى خالصا له لاشريك له فيه ولامنازع والمعنى واضرب يامحمد لقومك مثلا وقل لهم ماتقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لايدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فاى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار أى لايستويان فى الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لااله الا الله الواحد الاحد ألحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل أكثرهم لايعلمون) أى أن المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لاشريك له ۞ قوله تعالى (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم فى عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم

(غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار بان لايكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما مكى وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لااله الا هو (بل أكثرهم لايعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوده به بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لايدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته

القيامة

وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو وتسألنى تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أى انك واياهم فى عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) أى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم

القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بانها فينا نزلت وعن أبى سعيد الخدرى فى هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (ح) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار ۞ قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق اذ جاءه) أى بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس فى جهنم مثوى) أى منزلة ومقام (للكافرين) ۞ قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) أى والذى صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيؤن به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) أى الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أى فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها ۞ قوله عزوجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك

افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق و باطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى الكافرين اشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه انه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى ان الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه فى العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بنى مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) أى محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أى الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) اى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبل آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها

لعيبك اياها (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله تعالى خلق السموات والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله) بفتح الياء سوى حمزة (بضر) مرض أوفقر أوغير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عنى (أوأرادنى برحمة) صحة أوغنى أونحوهما (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم أولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما أفحمهم قال الله تعالى (قل حسبى الله) كافى المعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى

الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها واوالمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (انى عامل) أى على مكانتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه اجل و بذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب بمقيم أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبو بكر وحماد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجل كما هى وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ما هى به حية حساسة دراكة (والتى لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التى قضى) قضى حزة وعلى (عليها الموت) الحقيق أى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى

انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أوجنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) أى منيع فى ملكه (ذى انتقام) أى منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض ومافيهما من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى ان يحتج عليهم بان مايعبدون من دون الله لاقدرة لها على جلب خير أودفع ضر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان أرادنى الله بضر) أى بشدة و بلاء (هل هن كاشفات ضره أوأرادنى برحمة) أى بنعمة وخير و بركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبى الله) أى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أى عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أى اجتهدوا فى أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع (انى عامل) أى فيما أمرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى أنا أوأنتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو تهديد وتخويف (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى ليهتدى به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) أى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى يرجع وبال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ۞ قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الاجساد (والتى لم تمت فى منامها) والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هى التى تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هى التى يكون بها التمييز وهى التى تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التى قضى عليها الموت) أى فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) أى يرد النفس التى لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى

أجل مسمى) الى وقت ضرب له لموتى وقيل يتوفى الانفس أى يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة اذ لو زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارق اذا نام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن على رضى الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه الارسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة وعن سعيد بن جبير ان أرواح الاحياء وأرواح الاموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ماشاء الله أن يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها الى انقضاء

مدة حياتها وروى أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (ان فى ذلك) ان فى توفى الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد الا باذنه (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيأ قط ولا عقل لهم (قل لله الشفاعة جميعا)

أجل مسمى) أى الى أن يأتى وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال على بن أبى طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان أرواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ماشاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدرى ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعه ان أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أى فى البعث وذلك أن توفى نفس النائم وارسالها بعد التوفى دليل على البعث وقيل ان فى ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تغلط فى امساك ما تمسك من الارواح وارسال ما ترسل منها ۞ قوله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعنى الاصنام (قل) يا محمد (أولو كانوا) يعنى الآلهة (لا يملكون شيأ) أى من الشفاعة (ولا يعقلون) أى انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) أى لا يشفع أحد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو الشفيع فى الحقيقة وهو يأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) أى لا ملك لاحد فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) أى فى الآخرة ۞ قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت) أى نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قيل اذا اشمأز القلب من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاصنام (اذا هم يستبشرون) أى يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل ۞ قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه

أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أى اذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزت) أى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (اذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا الان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه والعامل فى اذا ذكروا العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أى يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية

(أنت تحكم) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها الا أجيب سواها وعن الربيع ابن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد ان قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى انه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط فى حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيآت وعن سفيان الثورى انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فاما أخشى أن يبدو لى من الله مالم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم التى كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه تفضلا يقال خولنى اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) منى أنى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعمة وقسما منها وقيل ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله

جميعا

واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بامر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يومن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فتجىء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجا الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان فى جعله سببا فى الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة وهى قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أى قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها

بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى من أمر الدين (م) عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضى الله تعالى عنها باى شئ كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم ۞ قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا أنه نازل بهم فى الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيآت والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخشى أن يبدو لى مالم أكن أحتسب (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) أى نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) أى شدة (دعانا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) أى من الله تعالى علم انى له أهل وقيل على خير علمه الله عنده (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندى (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

أى فما أغنى الكفر من العذاب شيأ (فاصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين) أى بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى (اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) أى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أى يقتر ويضيق على من يشاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أى يصدقون ۞ قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية ان اناسا من أهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم إيمانا وزناهم احصانا ونزلت قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائى وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم ان من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لاأقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أرانى بعد فى شبهة فلا أدرى أيغفر لى أم لا فانزل الله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا لجاء فاسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآيات فى عياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فاسلموا جميعا وهاجروا * وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول فى ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيأ من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجونا له وقوله أسرفوا على نفسهم أى تجاوزوا الحد فى كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لاتقنطوا من رحمة الله أى لاتيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصى واطلاقا فى الاقدام عليها وذلك لايمكن قلت المراد منها التنبيه على أنه لايجوز أن يظن العاصى أنه لامخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أى اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

فصل فى ذكر أحاديث تتعلق بالآية روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب

(فاصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أى من مشركى قومك سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) يفلتين من عذاب الله ثم بسطهم فطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لاقابض ولا باسط الا الله عز وجل (قل ياعبادى الذين) وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لاتقنطوا) لاتيأسوا وبكسر النون على وبصرى (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفى قراءة النبى عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظيره نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) يستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيأ لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس مميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير (ياحسرتا) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (على مافرطت) قصرت ومامصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب الله) أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل أى لاجله و برسوله

جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذى قال حديث حسن غريب (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فاتى راهبا فسأله فقال هل لى من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فضرب صدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربى وأوحى الله الى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخارى ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه و بين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه أن تقربى والى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفى رواية لم يعمل خيرا قط وفى رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنا مت فاحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله تعالى الارض فقال اجمعى ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلنى وربى أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما فى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أو بقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها ۞ قوله عز وجل (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (وأسلموا له) أى أخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون منه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الاية على ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يعنى غافلين عنه (أن تقول نفس) أى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا الى حال ان تقول نفس (ياحسرتا) أى يا ندمى و ياحزنى والتحسر الاغتمام والحزن على مافات (على مافرطت فى جنب الله) أى على ما قصرت فى طاعة الله وقيل فى أمر الله وقيل فى حق الله وقيل على ما ضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ما قصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله و بكتابه

وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم

يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أو تقول لو أن الله هدانى) أى أعطانى الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهدينا كم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى

وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها (أو تقول لو أن الله هدانى) أى أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أى الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أى عيانا (لو أن لى كرة) أى رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) أى قلت ليست من الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أى زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى عن الايمان ۞ قوله تعالى (وينجى الله الذين اتقوا) أى الشرك (بمفازتهم) أى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أى لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ) أى مما هو كائن أو يكون فى الدنيا والآخرة (وهو على كل شئ وكيل) أى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسى معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) ۞ قوله عز وجل

جواب لنفى تقديرى لان المعنى لو أن الله هدانى ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفى الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة فى محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب ففعول ثان (أليس فى جهنم مثوى) منزل

(للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجى الله) وينجى روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم أى لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزى أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح وهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثانى بمفازاتهم كوفى غير حفص (الله خالق كل شئ) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شئ وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أى هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهى المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها أو الكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهم بانه خالق كل شئ فهو مهيمن عليه فلا

يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيها ومايجزون عليها أو بما يليه على أن كل شئ فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال ياعثمان ماسألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وهو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمرونى أعبد) تأمرونى مكى تأمرونى على الاصل شامى تأمرونى مدنى وانتصب أفغير الله باعبد وتأمرونى اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بامركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعنى جوابى القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لايشركون لان الخطاب للنبى (٦٦) عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها

وقيل لئن طالعت غيرى فى السر ليحبطن ما بينى وبينك من السر (بل الله فاعبد) ردا لما أمروه به من عبادة آلهتهم كانه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان عبدى فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم (وماقدروا الله حق قدره) وماعظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لاغير من غير ذهاب بالقبضة واليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدا وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى ان الارضين مع عظمهن وبسطهن لايبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزور أكلة لقمان أى لاتفى الا باكلة فذة من أكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

(قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى لانعامه عليك ۞ قوله تعالى (وماقدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ۞ ثم أخبر عن عظمته فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وماقدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وماقدروا الله حق قدره الآية (ق) ۞ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون

(ونفخ فى الصور فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هى فى محل الرفع لان المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان (فاذا هم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على أن النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على أنها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) أى بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجىء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الابرار فى كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أى جزاءه (وهو اعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون أى ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد فى شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال أى أفواجا متفرقة بعضها فى أثر بعض (حتى اذا جاؤها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفى (أبوابها) وهى سبعة (وقال لهم خزنتها) أى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات

الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخارى ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابى ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض) أى ماتوا من الفزع وهى النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم فى سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعنى الله وحده (ثم نفخ فيه) أى فى الصور (أخرى) مرة أخرى وهى النفخة الثانية (فاذا هم قيام) أى من قبورهم (ينظرون) أى ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ۞ قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فيضارون فى نوره كما لا يضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقيل يعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبتدأ الى المنتهى (وجىء بالنبيين) يعنى ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى الحفظة (وقضى بينهم بالحق) أى بالعدل (وهم لا يظلمون) أى لا يزاد فى سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أى ثواب ما علمت (وهو أعلم بما يفعلون) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد ۞ قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعنى سوقا عنيفا (زمرا) أفواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) يعنى السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعنى توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات

ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا ونلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى ولكن وجبت علينا كلمة لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس و بئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف اليه مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره

فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد

سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شئ لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيؤهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو وكانه قال فنعم حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (واورثنا الارض) أرض الجنة وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه (نتبوأ) حال (من الجنة حيث نشاء) أى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف

ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أى وجبت (على الكافرين) وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) ۞ قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) فان قلت قال فى أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة الثانى أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو فى الآية الاولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة فى ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ فى الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثانى ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى أبشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى بالجنة (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) أى نتزل (من الجنة) أى فى الجنة (حيث نشاء) فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل

سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أى فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) فى الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أى محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أى ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير فى حافين (بحمد ربهم) أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف (وقضى بينهم) بين الانبياء والامم أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى يقول أهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) وما بعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدنى وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم (تنزيل الكتاب) أى هذا

تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أى المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أى ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذى الطول) ذى الفضل على العارفين أو ذى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب أخوات فى معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون فى تقدير الانفصال فتكون اضافتها غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها أبدال غير أوصاف وادخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الرحمن الرحيم حم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا كم زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه

(فنعم أجر العاملين) أى ثواب المطيعين فى الدنيا الجنة فى العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول فى ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) أى بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى يقوله أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فى آخر الامر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر﴾

وهى مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون فى آيات الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر بأرض غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن وعن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الروحمن حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أى قضى ما هو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى الغالب القادر وقيل الذى لا مثل له (العليم) أى بكل المعلومات (غافر الذنب) أى ساتر الذنب (وقابل التوب) أى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب بمن قال لا اله الا الله (شديد العقاب) لمن لم يقل لا اله الا الله (ذى الطول) أى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم وأصل

(لااله الاهو) صفة أيضا الذى الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (مايجادل فى آيات الله الاالذين كفروا) مايخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فاعظم جهاد فى سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) بالتجارات النافقة

والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فاخذتهم) مظهر مكى وحفص يعنى انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب أى فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدنى وشامى (انهم أصحاب النار) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من أصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش

الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لااله الاهو) أى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لايوصف بها غيره (اليه المصير) أى مصير العباد اليه فى الآخرة ۞ قوله تعالى (مايجادل) أى مايخاصم ويحاجج (فى آيات الله) أى فى دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الاالذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى مايجادل فى آيات الله الاالذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما جرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) أى تصرفهم (فى البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أى الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) أى خاصموا (بالباطل ليدحضوا) أى ليبطلوا (به الحق) الذى جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) أى أنزلت بهم من اهلاك ماهموا هم بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أى وجبت (كلمت ربك) أى كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) أى من قومك (انهم) أى بانهم (أصحاب النار) ۞ قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بار بعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء فى الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم فى تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التى تليها والتى تليها أشد خوفا من التى تليها وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة

ومن حوله) يعنى حاملين العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر وروى ان حملة العرش
أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفى الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا
ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين
مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون

من قوائم العرش والقائمة الثانية تخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف
لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال
مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة
وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض ۞ قوله (ومن حوله) يعنى الطائفين به
وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة
صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء
ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير
أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك
أنت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة
قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحى أحدهم مسير
ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول
العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا
من درأبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا
من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه الا الله عز وجل ۞ قوله تعالى
(يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على
الاطلاق (ويؤمنون به) أى يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون
بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته
التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله
وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
قال وكانهم يرون ذنوب بنى آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) أى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا
الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا
تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم فى أحد بشئ يكرهه أن يستغفر له
(ربنا) أى ويقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على
تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك) أى دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش
الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى وأين أمى وأين ولدى وأين زوجتى

ومن ورائهم مائة ألف
صف قد وضعوا الايمان
على الشمائل فامامنهم أحد
الا وهو يسبح بما لا يسبح
به الآخر (يسبحون)
خبر المبتدا وهو الذين
(بحمد ربهم) أى مع
حمده اذ الباء تدل على
أن تسبيحهم بالحمدلة
(ويؤمنون به) وفائدته
مع علمنا بان حملة العرش
ومن حوله من الملائكة
الذين يسبحون بحمده
مؤمنون اظهار شرف
الايمان وفضله والترغيب
فيه كما وصف الانبياء فى غير
موضع بالصلاح لذلك
وكما عقب أعمال الخير بقوله
ثم كان من الذين آمنوا
فابان ذلك فضل الايمان
وقد روعى التناسب فى قوله
ويؤمنون به (ويستغفرون
للذين آمنوا) كانه قيل
ويؤمنون به ويستغفرون
لمن فى مثل حالهم وفيه دليل
على أن الاشتراك فى الايمان
يجب أن يكون أدعى شئ
الى النصيحة والشفقة ولان
تباعدت الاجناس

والاماكن (ربنا) أى يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى اذ
الاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز
مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أى الذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أى طريق
الهدى الذى دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من فى موضع نصب عطف على
هم فى وادخلهم أو فى وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم)

أى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك (وقهم السيآت) أى جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرهما مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشرى والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم فلا يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثانى لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان فى الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتها عند انقضاء آجالهم وصح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح أن يقال سبحان من صغر جسيم البعوضة وكبر جسيم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف اى المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى فى الدنيا والاحياءة الثانية البعث ويدل عليه قوله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه فى القبر بعد موته للسؤال والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أى الى نوع من الخروج سريع أو بطىء لنتخلص (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أى ذلكم الذى أنتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلى) شأنه فلا يرد قضاؤه

فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله فى الجنة كان أكمل لسروره ولذته (وقهم السيآت) أى عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التى توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) أى من تقه فى الدنيا (فقد رحمته) أى فى القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) أى النعيم الذى لا ينقطع فى جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله ۞ قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيآتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أى اياكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أى اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى القبر للسؤال ثم أميتوا فى قبورهم ثم احيوا للبعث فى الآخرة وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهى أربعة الموتة الاولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التى هى من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الاولى فى الدنيا ثم الموتة الثانية فى القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعنى انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) أى من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) معناه فاجيبوا أن لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بانكم اذا دعى الله وحده كفرتم يعنى اذا قيل لا اله الا الله أنكرتم ذلك (وان يشرك به) أى غيره (تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى)

(الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أى يقولون لا حكم الا لله فقال على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم أو اخبار مبتدا محذوف ومعنى رفيع الدرجات

رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهارا لعظمته مع استغنائه فى ملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحى الذى تحيا به القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بأمره (على من يشاء من عباده لينذر) أى الله أو الملقى عليه وهو النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والاولون والآخرون التلاقى مكى ويعقوب (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من

أى الذى لا أعلى منه (الكبير) أى الذى لا أكبر منه ۞ قوله عز وجل (هو الذى يريكم آياته) أى عجائب مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق (وما يتذكر) أى يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) أى يرجع الى الله تعالى فى جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) قوله تعالى (رفيع الدرجات) أى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع أى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) أى خالقه ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى (يلقى الروح) يعنى ينزل الوحى سماه روحا لأن به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعنى الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى سائر الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون فى يوم القيامة نادى منادلمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة فى العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى يجزى المحسن باحسانه والمسىء باساءته (لا ظلم اليوم) أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد (ان الله سريع الحساب) أى انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم فى وقت واحد ۞ قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت آزفة القرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف

أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم وقيل ينادى منادفيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لازوفها أى لقربها ويبدل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) أى التراقى يعنى ترفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى موضعها فيتنفسوا ويتروحوا

(كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ماللظالمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولاشفيع يطاع) أى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لاتكون الالمن فوقك والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله * ولاترى الضب بها ينجحر يريد به نفى الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله مايكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى مالايحل (وماتخفى الصدور) وماتسره من أمانة وخيانة وقيل هو أن ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه فى جمالها ولايعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يريكم آياته مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولاشفيع يطاع فبعد ذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) أى والذى هذه صفاته لايحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) وآلهتهم لايقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان مالايوصف بالقدرة لايقال فيه يقضى أولايقضى تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم

خائنة الاعين وماتخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع مايقولون ويبصر مايعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لاتسمع ولا تبصر (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة فى انه لايدخله الالف واللام فاجرى مجراه منكم شامى (وآثارا فى الارض) أى حصونا وقصورا (فاخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شئ يقيهم من عذاب الله جوابه (ذلك بانهم) أى الاخذ بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى) قادر على كل شئ (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) ضياع يعنى انهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع فى الكرتين جميعا (وقال فرعون) للملئه (ذرونى أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت من معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبى وان ماجاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء فى اهون شئ فكيف لايقتل من أحس بانه هو الذى يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك

حتى تصير الى الحناجر فلا هى تعود الى أماكنها ولا هى تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) أى مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه (ماللظالمين من حميم) أى من قريب ينفعهم (ولاشفيع) أى يشفع لهم (يطاع) أى فيهم (يعلم خائنة الاعين) أى خيانتها وهى مسارقة النظر الى مالايحل وقيل هو نظر الاعين لما نهى الله عنه (وماتخفى الصدور) أى يعلم مضمرات القلوب (والله يقضى بالحق) أى يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعنى الاصنام (لايقضون بشئ) لانها لاتعلم شيأ ولاتقدر على شئ (ان الله هو السميع) أى لاقوال الخلق (البصير) بافعالهم (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض) أى المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أى يدفع عنهم العذاب (ذلك) أى ذلك العذاب الذى نزل بهم (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعنى فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أى استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) أى ومامكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا فى ضلال) أى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم مايريده الله تعالى (وقال فرعون) أى لملئه (ذرونى أقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان فى خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لاتقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجز واعن

وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى نموبها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع (اني أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) أن يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أو أن يظهر) موسى (في الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدني و بصري وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد في الارض التقاتل والتهايج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال اني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه اني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفي قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأذل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك

جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا (اني أخاف أن يبدل دينكم) يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه (أو ان يظهر في الارض الفساد) يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعني لما توعده فرعون بالقتل (اني عذت بربي وربكم) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أي متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) ۞ قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل ٣ عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا أن يقول) أي لان يقول (ربي الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد ۞ وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أي فكذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (ان الله لا يهدي) أي الى دينه (من هو مسرف كذاب) أي على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله

عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وعت بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم أي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل أو حزبيل والظاهر الاول (أتقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل

أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة ومالكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله (ربي الله) وهو بكم أيضا لاربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعني أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذي يعدكم مع انه وعد من نبي صادق القول مداراة لهم وسلوكا للطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفي اصابة الكل فكأنه قال لهم أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذب العاجل وفي ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لا يهدي من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) في ادعائه وهذا أيضا من باب المجاهلة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة فلما عضده بالبينات وقيل أوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون

٣ قوله حزبيل كذا بالاصل الطبع وفي نسخة خط بايدينا حزقيل وفي النسفي ماترى مصحح

(ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم فى لكم (فى الارض) فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أى عذابه فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعر الخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم ولا يفترون عنه ولا بد

من حذف مضاف أى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بانه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) أى وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى ان تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله ومار بك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلمك معناه لا أريد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة التنادى مكى ويعقوب فى الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل ينادى مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ألا ان فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن مواقف الحساب الى النار (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فماله من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر وبخهم بان يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين

عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴿ قوله عز وجل (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى غالبين فى الارض أى أرض مصر (فمن ينصرنا) أى يمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا العذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما أريكم) أى من الرأى والنصيحة (الا ما أرى) أى لنفسى (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه أن يحل به ما حل بالامم قبله بقوله (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) أى لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم (ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر يا ليتنى لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب ذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) أى يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد) أى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعنى يوسف ابن يعقوب (من قبل) أى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين فى نبوته

(حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أى أقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب شاك فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (فى آيات الله) فى دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) أى عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياهامان ابن لى صرحا) أى قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشئ اذا ظهر (لعلى) بفتح الياء حجازى وشامى وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها ومايؤدى اليها وكل ما أداك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فاطلع) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فانظر اليه (وانى لاظنه) أى موسى (كاذبا) فى قوله اله غيرى (وكذلك) ومثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفى ويعقوب أى غيره صدا أو هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسران وهلاك (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون) اتبعونى فى الحالين مكى ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى أجل أولائم فسرها فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها هى الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هى دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما يثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكى وبصرى ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار بقوله

نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعنى مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أى أقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) أى فى شركه وعصيانه (مرتاب) أى فى دينه (الذين يجادلون فى آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أى بغير حجة وبرهان (أتاهم) من الله (كبر) أى ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) ۞ قوله عز وجل (وقال فرعون) يعنى لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) أى بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص (لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى طرقها وأبوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه) يعنى موسى (كاذبا) أى فيما يدعى ويقول ان له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أى وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى وما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسار وهلاك قوله تعالى (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أى طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) أى متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هى دار القرار) أى التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى لا تبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير

(ويا قوم مالى) وبفتح الياء نجازى وأبو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أى الجنة (وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله) هو بدل من تدعوننى الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به مالیس لى به علم) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال واشرك به مالیس بالله ومالیس بالله كيف يصح أن يعلم الها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجىء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى لان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لاجرم) عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته (أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) معناه ان ما يدعوننى اليه ليس له دعوة

الى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه بالجزاء فى قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) وأن رجوعنا اليه (وأن المسرفين) وأن المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) وأسلم (أمرى) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) بأعمالهم وما لهم (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف فى طلبه فنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعنى الرؤساء (انا كنا لكم تبعا)

تقتير (ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) معناه أنا أدعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة من النار وأنتم تدعوننى الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به مالیس لى به علم) أى لا أعلم ان الذى تدعوننى اليه اله ومالیس بالله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم الى العزيز) أى فى انتقامه ممن كفر (الغفار) أى لذنوب أهل التوحيد (لاجرم) يعنى حقا (ان ما تدعوننى اليه) يعنى الصنم (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى ليست له استجابة دعوة لاحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا ولا فى الآخرة لان الاصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) أى مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحقه (وأن المسرفين) يعنى المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أى اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمرى الى الله) أى أرد أمرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيآت ما مكروا) أى ما أرادوا به من الشر قيل انه تجامع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) أى نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ۞ ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون) أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا ۞ قوله تعالى (واذ يتحاجون) أى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى أهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم

تبعا) أتباعا كخدم فى جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أى انا كلنا فيها لا يغنى أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بان أدخل أهل الجنة وأهل النار النار (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما لم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعنى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار يطلب الدعوة منهم (أدعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أولم تك) أى أولم تك قصة وقوله (تأتيكم) تفسير للقصة (رسلكم بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أى الكفار (بلى قالوا) أى الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك أمس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة والانبياء فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال

تبعا) أى فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعنى الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعنى نحن وأنتم (ان الله قد حكم بين العباد) أى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) يعنى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لا عذر لكم بعد مجىء الرسل (قالوا بلى) أى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى أنتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) يعنى يبطل ويضل ولا ينفعهم ۞ قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفا (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أى ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعنى النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لاولى الالباب) ۞ قوله تعالى (فاصبر) أى يا محمد على أذاهم (ان وعد الله حق) أى فى اظهار دينك واهلاك أعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك) أى نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشى والابكار) يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) يعنى كفار قريش (ان فى صدورهم) أى ما فى قلوبهم (الا كبر)

تقوم بالتاء الرازى عن هشام (يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم أى لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفى ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس أى تركنا الكتاب من بعد هذا الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال (لاولى الالباب) لذوى العقول (فاصبر) على ما يجرعك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعنى ان ما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذنبك) أى لذنب أمتك (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) لا وقف عليه لان خبر ان (ان فى صدورهم الا كبر) تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل

قال ابن عباس ماحملهم على تكذيبك الا مافى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أى من فتنة الدجال (انه هو السميع) أى لاقوالهم (البصير) أى بأفعالهم ۞ قوله عزوجل (لخلق السموات والارض) أى مع عظمها (أكبر من خلق الناس) أى من اعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك أعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لايقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لايعلمون) يعنى ان الكفار لايعلمون حيث لايستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أى أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لايعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال

﴿فصل فى ذكر الدجال﴾ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مابين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى كانها عنبة طافئة ولابى داود والترمذى عنه وقال قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه ومامن نبى الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنه أعور وان الله ليس باعور (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبى الا وقد انذر أمته الاعور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته أنه يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم أنى ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كأحسن ماتكون ضروعا وأعظمه أسنمة ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم أنى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدة الناس بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حى فانا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم مايجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس وفى رواية عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار هذا حديث أخرجه البغوى بسنده والذى جاء فى صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله مالبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كايامكم هذه قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذى كسنة تكفينا له صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية أبى داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما

ملك ورياسة أوارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لوكان خيرا ماسبقونا اليه أوارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) ببالغى موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أوالنبوة أودفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر (ولكن أكثر الناس لايعلمون) لانهم لايتأملون

الذى يرى الناس انه نار فماء بارد والذى يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبى قومه انه أعور وانه يجىء بمثال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته وانه قال لى ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشأم وهناك يهلك عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض هذه الاحاديث التى وردت فى قصة الدجال حجة للمذهب الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائى المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى فى عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شىء من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم ۞ قوله عز وجل (وما يستوى الاعمى والبصير) أى الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) أى

لغلبة الغفلة عليهم (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) لا زائدة

(قليلا ماتذكرون) تتعظون بتاءين كوفى و بياء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكرا قليلا يتذكرون وماصلة زائدة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (استجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن و يدل عليه قوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكى وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازى أى مبصرا فيه لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان يعنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج أى ساكن لاريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لايشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لان فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولايشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذى خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شئ لااله الاهو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدانية (فانى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتامل فيها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فاحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات

لايستوون (قليلا ماتذكرون ان الساعة) يعنى القيامة (لآتية لاريب فيها) أى لاشك فى قيامها ومجيئها (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) أى لايصدقون بالبعث بعد الموت ۞ قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى دون غيرى أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاناية استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذى وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعونى أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص فى الدعاء وأن لايدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لايكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يعجلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له به فى الدنيا واما أن يدخر له فى الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يارسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فما استجاب لى أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين ذليلين ۞ قوله عز وجل (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف فى حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم) أى ذلكم المميز بالافعال الخاصة التى لايشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شئ لااله الاهو) أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وأنه لاشريك له فى ذلك (فانى تؤفكون) أى فانى تصرفون عن الحق (كذلك) أى كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا) أى فراشا تستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة و بعد الموت (والسماء بناء) أى سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فاحسن صوركم) أى خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل و يتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات)

(ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) هى القرآن وقيل العقل والوحى (وأمرت أن أسلم) أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذى خلقكم) أى أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل بلوغ الاشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى فانما يكونه سريعا من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت

قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى) وهذا يفيد الحصر أى لا حى الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذى يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانيه بقوله (لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أى فادعوه واحدوه قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لرب العالمين (قل انى نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى الى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك ۞ قوله (هو الذى خلقكم من تراب) يعنى أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهى من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعنى أن مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) أى جميعا (أجلا مسمى) أى وقتا محدودا الانجاوزونه يعنى أجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) أى مافى هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته كانه قال من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شئ وأسرعه ۞ قوله تعالى (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن (أنى يصرفون) أى عن دين الحق وقيل نزلت فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) أى يجرون بتلك السلاسل (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) أى توقد بهم النار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام (قالوا ضلوا عنا) أى فقدناهم فلم نرهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيأ ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعو من قبل شيأ (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما أضل هؤلاء (ذلكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أى تبطرون وتأشرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم

فى أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر فى أعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) يجرون فى الماء الحار (ثم فى النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوأة بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أى تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الاصنام التى تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى تبين لنا انهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت ان فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة وطلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم

تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فاما نرينك) أصله فان نرك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك (بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فنذيقهم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعني

انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية الا باذن الله فمن أين لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) أي يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذي جعل) خلق (لكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أي الالبان والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) أي لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون) ولن

تمرحون) أي تختالون وتفرحون به (ادخلوا أبواب جهنم) يعني السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أي عن الايمان ۞ قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي بنصرك على الاعداء (فاما نرينك بعض الذي نعدهم) أي من العذاب في حياتك (أو نتوفينك) أي قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أي خبره وحاله في القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أي ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبر وا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أي بامره وارادته (فاذا جاء أمر الله) أي قضاؤه بين الانبياء والامم (قضي بالحق) أي بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أي الذين يجادلون في آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم ۞ قوله تعالى (الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) أي في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) أي تحمل أثقالكم من بلد الى بلد في أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر (ويريكم آياته) أي دلائل قدرته (فأي آيات الله تنكرون) يعني ان هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره ۞ قوله تعالى (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في أطراف الارض لعرفوا أن عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء (فما أغنى عنهم) أي لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أي أي شيء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أي رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث

أي على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله وأي نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لابهامه (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا في الارض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين به مرحين

ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أو الفرح للرسل أى الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التى قد خلت فى عباده) أن الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل بمكذبى الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون فى كل أوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاآت فى هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيدا المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم (سورة فصلت مكية وهى ثلاث وخمسون آية) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ان جعلته اسم للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبر وان جعلته تعديد اللحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب)

خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعيظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أى أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون مانزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والاظهر أن يكون صفة مثل ماقبله وما بعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفى آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لتنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها وبح أسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على ديننا (انا عاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا انا عاملون فى ابطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لافراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا فى أكنة ووجهه أنه قال لهم انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت نبوتى بالوحى الى وأنا بشر واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى أن الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم

وان نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو فى الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) أى عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده) يعنى ان سنة الله قد جرت فى الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعنى بتلك السنة أنهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) أى بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسراركتابه

﴿تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح وهى مكية وهى أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أى بينت وميزت وجعلت معانى مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرآنا عربيا) أى باللسان العربى (لقوم يعلمون) أى انما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم مافهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن أى بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب (فاعرض أكثرهم) أى عنه (فهم لا يسمعون) أى لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية (مما تدعونا اليه) أى فلا نفقه ماتقول (وفى آذاننا وقر) أى صمم فلا نسمع ماتقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا نوافقك على ماتقول (فاعمل) أى أنت على دينك (انا عاملون) أى على ديننا (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) أى كواحد منكم (يوحى الى) أى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) أى

الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) لايؤمنون بوجوب الزكاة ولايعطونها أولايفعلون مايكونون به أزكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان أحب الشئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وماخدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد أن يخلقها فى لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شركاء وأشباها (ذلك) الذى

خلق ماسبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وجعل فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عزوجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فى الارض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم ومايصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشرة أى تتمة خمسة عشر ولابد من هذا التقدير لانه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لانه قال خلق الارض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة (سواء) بعقوب صفة للايام أى فى أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد أى هى سواء غيرهما سواء على المصدر أى استوت سواء أى استواء أو على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويسأله او بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض ومافيها

توجهوا اليه بطاعته ولاتميلوا عن سبيله (واستغفروه) أى من ذنوبكم وشرككم (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) قال ابن عباس لايقولون لااله الاالله لانهاز كاة الانفس والمعنى لايطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لايقرون بالزكاة المفروضة ولايرون اتيانها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لاينفقون فى طاعة الله ولايتصدقون وقيل لايزكون أعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون) أى جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ۞ قوله عزوجل (قل أئنكم) استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) وثانيهما (وتجعلون له أندادا) اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الاحد والاثنين (ذلك رب العالمين) أى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (من فوقها) أى من فوق الارض (وبارك فيها) أى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ماخلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل مايحتاج اليه (وقدر فيها أقواتها) أى قسم فى الارض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الزراعة أكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها (فى أربعة أيام) أى مع اليومين الاولين خلق الارض فى يومين وقدر الاقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر على الاول فى الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك أى فهكذا الامر سواء لازيادة فيه ولانقصان جوابا لمن سأل فى كم خلقت الارض والاقوات

(ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون أنه أكمل الاول وابتدأ الثانى ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبدفقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء فى الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى أن ائتيا على ما ينبغى

(ثم استوى الى السماء) أى عمد الى خلق السماء (وهى دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو أن يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض فى يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الارض فى يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أى ائتيا ما أمر تكما به أو افعلاه وقيل افعلا ما أمر تكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع (قالتا أتينا طائعين) معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما فى الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لصالح العباد اما أنت يا سماء فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقى أنهارك وأخرجى ثمارك ونباتك ۞ وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) أى أتمهن وفرغ من خلقهن (فى يومين) وهما الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال ابن عباس خلق فى كل سماء خلقا من الملائكة وقال وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى الى كل سماء ما أراد من الامر والنهى (وزينا السماء الدنيا) أى التى تلى الارض (بمصابيح) أى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) أى وجعلناها يعنى الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أى الذى ذكر من صنعه وخلقه (تقدير العزيز) أى فى ملكه (العليم) أى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم ۞ قوله تعالى (فان أعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أى خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أى هلاكا كمثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم الرسل) يعنى الى عاد وثمود (من بين أيديهم) يعنى الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وعما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين

* وعليهما مسرودتان قضاهما * والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سبع سموات) والفرق بين النصبين فى سبع سموات ان الاول على الحال والثانى على التمييز (فى يومين) فى يوم الخميس والجمعة (واوحى فى كل سماء أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديدا الوقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة

والوصف اثنى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وقوله طوعا أو كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين وانما لم يقل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع الكره قيل طائعين فى موضع طائعات كقوله ساجدين (فقضاهن) فاحكم خلقهن قال

لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (أن لا) أى بان لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) يعنى لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانا بما أرسلتم به كافرون) روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان مابك للرياسة عقدنا لك ألوية فكنت رئيسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أى بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا ولكنى أتيته وقصصت عليه القصة فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظى حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فى المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فاكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعيبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذى بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فان الرئى ربما غلب التابع من الانس حتى يداوى منه أو كما قال عتبة فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال أسمعت يا أبا الوليد فانت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال وراءى انى سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش أطيعونى يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيى لكم فاصنعوا ما بدا لكم ۞ قوله عز وجل

(أن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بانه (لا تعبدوا الا الله قالوا) أى القوم (لو شاء ربنا) ارسال الرسل ففعول شاء محذوف (لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذا أتتم بشر ولستم بملائكة فانا لن نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روى ان قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فاتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيأ الا أجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لا ولم أهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال

(فاما

(فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوا من أشد منا قوة) كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم و بلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) ألم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شئ وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أي كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة تصرصر أي تصوت في هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة برودها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور (في أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكي و بصري ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في آخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قولك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر

(فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا) أي أولم يعلموا (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي عاصفا شديد الصوت وقيل هي الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فاربع منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (في أيام نحسات) أي نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق (في الحيوة الدنيا) أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد اهانة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذي الهوان (بما كانوا يكسبون) أي من الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) أي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه ﴿قوله تعالى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون) أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ما جاؤها) يعني النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي بشرانهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله

الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فاراح عللهم ولم يبق لهم عذر فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها و يقتضيها وانما تحمل بهذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أي الكفار من الاولين والآخرين نحشر أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كففته (حتى اذا ما جاؤها) صاروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج

ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم أن الله

لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردأكم) وذلك الظن هو الذى أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خبره والذى ظننتم بربكم صفته وأردأكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين أو ان يسألوا العتبى وهو الرجوع جزعا مما هم فيه لم يعتبوا أى لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنا لهم) أى قدرنا للمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ولنجزينهم

ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد بربه عز وجل يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (وقالوا) يعنى الكفار الذين يجرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) معناه ان القادر الذى خلقكم أول مرة فى الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذى أنطق كل شئ ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أى تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما فى أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليلا فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية ۞ قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) أى ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أردأكم) أى أهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النار (فاصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى مسكن (وان يستعتبوا) أى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه وأجيب الى ما سأل (فما هم من المعتبين) أى المرضيين (وقيضنا لهم) أى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) أى نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) أى من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة (وما خلفهم) أى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أى وجب (فى أمم) أى مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) ۞ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يتخلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) يعنى محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا

(فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا)

يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطو وا تحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدا محذوف (لهم فيها دار الخلد) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء) أى جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو (اللذين أضلانا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان

على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) فى النار جزاء اضلالهم ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله) أى نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلا هاتم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حلتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب أى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بانه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن أى لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا وقال محمد بن على الترمذى تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان أن لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التى كنتم توعدون فى سالف الزمان (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون) تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله)

ولنجزينهم أسوأ) يعنى باسوأ (الذى كانوا يعملون) أى فى الدنيا وهو الشرك (ذلك) أى الذى ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أى دار الاقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أى فى النار (ربنا) أى يقولون يا ربنا (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذى قتل أخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) أى فى النار (ليكونا من الاسفلين) أى فى الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا ۞ قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل الى طرف الافراط والتفريط فتكون الاستقامة فى أمر الدين والتوحيد فتكون فى الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا فى العمل وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث (أن لا تخافوا) أى من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) أى على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أى تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أى انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (فى الحيوة الدنيا) نحن أولياؤكم (فى الآخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أى فى الجنة (ما تشتهى أنفسكم) أى من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) أى تتمنونه (نزلا) أى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعانى كل هذه الاشياء المذكورة فى هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا أعطى هذا النزل فما ظنك بما بعد من الالطاف والكرامة ۞ قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أى الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة أن لا اله

الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا (وقال انني من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقده أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن) يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولد الحميم مصافاة لك ثم قال (وما يلقاها) أي ومايلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا أهل الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل دفع بالتي هي أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقال ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة للتاكيد والمعنى لا يستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان ابن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على مالا ينبغي يعني وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدرو نور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير في خلقهن للآيات أو لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى أو الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن

الا الله وقيل هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل صالحا) في اجابته وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب * الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * الرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال في الثالثة لمن شاء * عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن (وقال انني من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به ۞ قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتي هي احسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) أي صديق قريب قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) أي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) أي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه أي يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) أي من شره (انه هو السميع) أي لاستعاذتك (العليم) باحوالك ۞ قوله تعالى (ومن آياته) أي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) أي انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذي خلقهن) أي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون)

واعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عندربك) أى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا الا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عبادا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الاندادوعندربك عبارة عن

يعنى ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عزوجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) أى عن السجود لله (فالذين عندربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى لا يفترون ولا يملون

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن أبى حنيفة وأحمد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند أصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن أبى حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) ۞ قوله تعالى (ان الذين يلحدون) أى يميلون عن الحق (فى آياتنا) أى فى أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى أبى جهل (أفمن يلقى فى النار) هو أبو جهل (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) أى انه عالم باعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ فى وصف الذكر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجىء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أى فى جميع أفعاله (حميد) أى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عزوجل (ما يقال لك) أى من الاذى والتكذيب (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) يعنى انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) أى لمن

الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسأمون وعند الشافعى رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم وخبر ان محذوف أى يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وانه لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله (لا يأتيه الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أى بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعنة فى الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيائه

(وذو عقاب أليم) لاعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (ولو جعلناه) أى الذكر (قرآنا أعجميا) أى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لو كان كما يقترحون (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (أ أعجمى وعربى) بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للانكار يعنى لانكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمى منسوب الى أمة العجم فصيحا كان أو غير فصيح والمعنى ان آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه اشارة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لابى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا هدى) ارشادا الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) فى موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر أى صمم الا أن فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدا أو فى آذانهم منه وقر (وهو) أى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعنى أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كانهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد باقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم فكان هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسىء (اليه يرد علم الساعة) أى علم قيامها يرد اليه أى يجب على المسؤل أن يقول الله يعلم ذلك (وما تخرج من ثمرات) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (من أكمامها) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى) حملها (ولا تضع الا بعلمه) أى ما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة

---

(٩٤) جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية

تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أى لمن أصر على التكذيب ۞ قوله عز وجل (ولو جعلناه) أى هذا الكتاب الذى تقرؤه على الناس (قرآنا أعجميا) أى بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) أى هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أ أعجمى وعربى) أى أكتاب أعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل فى معنى الآية انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضرب سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا هدى) أى من الضلالة (وشفاء) أى لما فى القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) أى صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أى فصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) أى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفى شك منه مريب) أى من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) أى يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) أى ضرر اساءته أو كفره يعود على نفسه أيضا (وما ربك بظلام للعبيد) يعنى فيعذب غير المسىء ۞ قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) أى من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه

والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائي) أضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه في قوله أين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم بالشئ تحقق بما علم به الا أن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه (ما منا من شهيد) أي ما منا أحد اليوم يشهد بان لك شريكا وما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) في الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى

انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حق وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني (وما أظن الساعة قائمة) أي ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربي) أي كما يقول المسلمون (ان لي عنده) عند الله (للحسنى) أي الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتر عنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسي المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثير أي أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم أو قنوط في البر وذو دعاء عريض في البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبروني (ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم أنه من عند الله (من أضل) منكم الا انه وضع قوله (ممن هو في شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفي أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) أي القرآن أو الاسلام

فكان من علمه الذي يرد اليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو علم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) أي ينادي الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائي) أي الذين تدعون أنها آلهة (قالوا) يعني المشركين (آذناك) أي أعلمناك (ما منا من شهيد) أي يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أي يعبدون في الدنيا (وظنوا ما لهم من محيص) أي مهرب ۞ قوله تعالى (لا يسأم الانسان) أي لا يمل الكافر (من دعاء الخير) يعني لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) أي الشدة والفقر (فيؤس) أي من روح الله تعالى (قنوط) أي من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) أي آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) أي من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن هذا لي) أي أستحقه بعملي (وما أظن الساعة قائمة) أي ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربي) يقول هذا الكافر أي فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي (ان لي عنده للحسنى) أي الجنة والمعنى كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوئ أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أي الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) أي كثير (قل) أي قل يا محمد للكفار مكة (أرأيتم ان كان من عند الله) يعني هذا القرآن (ثم كفرتم به) أي جحدتموه (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق) قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية (وفي أنفسهم) أي بالبلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي أنفسهم وهو فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعني دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار

(أولم يكف بربك) موضع ربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد أى أولم تكفهم شهادة ربك على كل شئ ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد (ألا انهم فى مرية) شك (من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم

﴿سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها لانه آيتان وكهيعص (٩٦) آية واحدة (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أومثل ذلك الكتاب يوحى

والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) يعنى يشهد أن القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شئ (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شئ محيط) أى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم عسق﴾

وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسألكم عليه أجرا وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجى واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر أى قضى وبقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك أخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كانه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل

(والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب الا أوحى اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته من يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطاوحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد

(والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون لمن فى الارض) أى للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله و ينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى و يستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب (الا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ فيجازيهم عليها (٩٧) (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولا مفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك) ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التى قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله فى كتبه أو هو مفعول به لاوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى) أى مكة لان الارض دحيت من تحتها أو لانها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له يقال انذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى منهم فريق فى

من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم (ويستغفرون لمن فى الارض) أى من المؤمنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من فى الارض أما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب وأما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن فى الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (الا ان الله هو الغفور الرحيم) يعنى انه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها و يضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة ۞ قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم حتى تؤاخذهم انما أنت نذير (وكذلك) أى ومثل ما ذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعنى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعنى قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (لا ريب فيه) أى لا شك فى الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان فلنا لا يا رسول الله فقال للذى فى يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعددهم قبل أن يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم الى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعددهم قبل أن يستقروا نطفا فى الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال عملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ۞ قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى فى دين الاسلام (والظالمون) أى الكافرون (ما لهم من ولى) أى يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أى يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعنى الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولى) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولى من اتبعك (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) يعنى ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولى (وما اختلفتم فيه من شئ) أى من أمر الدين (فحكمه الى الله) أى يقضى فيه ويحكم

الجنة ومنهم فريق فى السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (ما لهم من ولى) شافع (ولا نصير) دافع (ام اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو الذى يجب أن يتولى وحده لا ولى سواه (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما خالفتكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فحكمه) أى حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من

المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربى عليه توكلت) فى رد كيد أعداء الدين (واليه أنيب) أرجع فى كفاية شرهم وقبل وماوقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لاتتصل بتكليفكم ولاطريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدا محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا) أى وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) فى هذا التدبير وهو أن جعل الناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وانائهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لايعقل (ليس كمثله شئ) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شئ كقوله تعالى

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا لان المراد نفى المثلية واذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شئ لانهم يقولون مثلك لايبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا ماتعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لهما لانها وقعت عبارة عن الجود حتى أنهم استعملوها فيمن لايد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لامثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا أذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم أنه لاصفة له كما لامثل له (له مقاليد السموات والارض) مر فى الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يضيق (انه بكل شئ عليم شرع) بين وأظهر (لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر مايكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وماذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولاتتفرقوا فيه) ولاتختلفوا فى الدين قال على رضى

يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب وقبل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولاتؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) أى الذى يحكم بين المختلفين هو الله (ربى عليه توكلت) أى فى جميع أمورى (واليه أنيب) أى واليه أرجع فى كل المهمات (فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) أى أصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) أى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) أى فى الرحم وقيل فى البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم وانائهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به أى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شئ) المثل صلة أى ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولايشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) أى لسائر المسموعات (البصير) أى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) أى من البسط والتضييق ۞ قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ماوصى به نوحا) يعنى انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه وايالك يا محمد دينا واحدا (والذى أوحينا اليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح

الله عنه لاتتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبى) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدى اليه من ينيب) يقبل على طاعته (وماتفرقوا) أى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الامن بعد ماجاءهم العلم) الامن بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهى بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لاهلكوا حين افترقوا العظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك منه) من كتابهم لايؤمنون به حق الايمان (مريب) مدخل فى ريبة وقيل وماتفرق أهل الكتاب الامن بعد ماجاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وماتفرق الذين أتوا الكتاب الامن بعد ماجاءتهم البينة

الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أى من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبى اليه من يشاء) أى يصطفى لدينه من يشاء من عباده (ويهدى اليه من ينيب) أى يقبل على طاعته (وماتفرقوا) يعنى أهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى أهل الكتاب (الامن بعد ماجاءهم العلم) أى بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أى ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى فى تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين من آمن وكفر يعنى لانزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (من بعدهم) أى من بعد أنبيائهم وقيل من الامم الخالية (لفى شك منه) أى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلايؤمنون به (مريب) يعنى مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أى الى ذلك (فادع) أى الى ماوصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ماحدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع أنت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أى اثبت على الدين الذى أمرت به (ولاتتبع أهواءهم) أى المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت ان لاأحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان اله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) أى لاخصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لايجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أى فى المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) ۞ قوله عز وجل (والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ماستجيب له) أى من بعد ماستجاب الناس لدين الله تعالى فاسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) أى خصومتهم باطلة (عند ربهم)

وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ماأورث أهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القويمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولاتتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) باى كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لاعدل بينكم) فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولى دين ويجوز أن يكون معناه انا لانؤاخذ باعمالكم وانتم لاتؤاخذون باعمالنا (لاحجة بيننا وبينكم) أى لاخصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لايراد بحجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينقم لنا منكم (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ماستجيب له) من بعد ماستجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ماستجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم)

وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله فى زمن نوح عليه السلام (ومايدريك لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لاتدرى والمراد مجىء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لامحالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمرى ماعند صاحبه (لفى ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لابد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) فى ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه أو هو بر بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه أو من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عمن يهفو أو يعطى العبد الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ماجحدوه (يرزق من يشاء) أى يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه فى الحديث ان من عبادى المؤمنين من لايصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لايصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى مايعمل العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نزد له فى حرثه) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف فى احسانه أو بان ينال به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) أى شيأ منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له لامايريده ويبتغيه (ومالهفى الآخرة من نصيب) ومالهنصيب قط فى الآخرة وله فى الدنيا نصيب ولم يذكر فى عالم الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب (أم لهم شركاء) قيل أم هى المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لالف الاستفهام وفى الكلام اضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى لم يامر به (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بان الفصل

وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب بالحق) أى الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أى العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (ومايدريك لعل الساعة قريب) أى وقت اتيانها قريب وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) أى ظنا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أى خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) أى انها آتية لاشك فيها (ألا ان الذين يمارون) أى يخاصمون (فى الساعة) وقيل يشكون فيها (لفى ضلال بعيد) قوله ﷻ عز وجل (الله لطيف بعباده) أى كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حنى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكوا جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء مالابد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفع اليكم مرة واحدة (وهو القوى) أى القادر على كل مايشاء (العزيز) أى الذى لايغالب ولايدافع (من كان يريد حرث الآخرة) أى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) أى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى مايشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة (نؤته منها) أى ماقدر وقسم له منها (ومالهفى الآخرة من نصيب) يعنى لانه لم يعمل لها * عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه الى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوى باسناده ﷻ قوله تعالى (أم لهم) يعنى كفار مكة (شركاء) يعنى الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعنى ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله تعالى الذى أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لايعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعنى ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة

يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم فى الآخرة وان أخرعنهم فى دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين فى الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة أشفقوا أولم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) كأن روضة

(لقضى بينهم) أى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وان الظالمين) يعنى المشركين (لهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ترى الظالمين) يعنى يوم القيامة (مشفقين) أى وجلين خائفين (مما كسبوا) أى من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أى جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أى الذى ذكر من نعيم الجنة (الذى يبشر الله) به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ﴿ قوله عز وجل (قل لا أسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا) أى جزاء (الا المودة فى القربى) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينى و بينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا فى قوله الا المودة فى القربى يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم و بنو المطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولا فى الاسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت غاب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لا يجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين قلت لا نزاع فى أنه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله الا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا أطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا كان كذلك فى حق جميع المسلمين كان فى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى المودة فى القربى ليست أجرا فى الحقيقة لان قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا أجر البتة والوجه الثانى أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة فى القربى أى لكن أذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة

مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على اذ لم يكن بطن من بطون قريش

الا بين رسول الله و بينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله و رسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترف حسنة) يكتسب طاعة عن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا أوليا لذكرها عقيب ذكر المودة فى القربى (نزد له فيها حسنا) أى تضاعفا كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة أو الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور فى صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدا غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى و رفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك وشرابه

وآواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية و روى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا أن تو ادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ۞ وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة (نزد له فيها حسنا) أى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) أى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (أم يقولون) أى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه أيقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم أن ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفترى وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية (ويمح الله الباطل) أخبره الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عزوجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) أى يحق الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد أن يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يارسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عزوجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياءه وأهل طاعته

﴿ فصل فى ذكر التوبة وحكمها ﴾ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه

فمحا باطلهم واظهر الاسلام (انه عليم بذات الصدور) أى عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى و يقال قبلته عنه أى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقصى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة و رد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى

المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله (ويعفوا عن السيآت) وهو ما دون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة (ويعلم ما تفعلون) بالتاء كوفى غير أبى بكر أى من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أى اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين فى مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام من عليهم ٧ بان يقبل توبتهم اذا تابوا ويعفو عن سيآتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ما سألوه وعن ابراهيم بن أدهم انه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه (والكافرون لهم عذاب شديد) فى الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أى لو أغناهم جميعا (لبغوا فى الارض) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أو من البغى وهو الكبر اى لتكبروا فى الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكى وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغى ومن يبغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر أقل

وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ۞ وقوله عز وجل (ويعفو عن السيآت) أى يمحوها اذا تابوا (ويعلم ما تفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ دعوه وقال ابن عباس ويثبت الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أى سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) ۞ قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) أى لطغوا وعتوا (فى الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) يعنى الارزاق نظر للصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ومايزال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعانى أجبته وان سألنى أعطيته وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى

ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذى ينزل الغيث) وبالتشديد مدنى وشامى وعاصم (من بعد ماقنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية أو أراد رحمته فى كل شئ (وهو الولى) الذى يتولى باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أى علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (ومابث) فرق ومايجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف اليه (فيهما) فى السموات والارض (من دابة) الدواب تكون فى الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو فى

نفر منهم أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح

ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض أو يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم مكروه (فبما كسبت أيديكم) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدنى وشامى على أن مامبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسياق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) أى من لكم الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ماوصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ماعفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعته أكثر من جنايته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته هلك فى أول خطوة وعن على رضى الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين فى الارض) أى بفائتين ماقضى عليكم من المصائب (وما

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير أخرجه البغوى باسناده * قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا) أى يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم (وينشر رحمته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب (وهو الولى) أى لاهل طاعته (الحميد) أى المحمود على مايوصل الى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض ومابث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خلق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة * قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مامن خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب ومايعفو الله عنه أكثر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سحيلة قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أخبركم بافضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم ياعلى ما أصابكم من مصيبة أى من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة مامن نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وما أنتم بمعجزين) أى بفائتين (فى الارض) هربا يعنى لا تعجزوننى حيثما كنتم (وما

لكم من دون الله من ولى) متول بالرحمة (ولا نصير) تاصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهى السفينة الجوارى فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وأبو عمرو فى الوصل (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمه (أو يوبقهن) بهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) فلا يجازى عليها وانما أدخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى عطف على الاستئناف (مالهم من محيص) مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)

لكم من دون الله من ولى ولا نصير) ۞ قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن وهى السيارة (فى البحر كالاعلام) أى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشا يسكن الريح) أى التى تجرى بها السفن (فيظللن) يعنى السفن الجوارى (رواكد) أى ثوابت (على ظهره) أى على ظهر البحر لا تجرى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء (أو يوبقهن) أى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) أى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شئ) أى من زينة الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) أى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أى من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان فى متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعنى ما عظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغى) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية وقال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل

 واستناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو وشورى لا ينفرد دون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغى) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم اى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لانها سميت سيئة لانها مجازاة السوء أو لانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها أو فى تسمية الثانية سيئة اشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة

(فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادي مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) أي أخذ حقه بعد ما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤنهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أي الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور) أي من الامور التي ندب اليها أو مما ينبغي أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه وحذف الراجع أي منه لانه مفهوم كما حذف من

قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) فما له من أحد يلي هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضي للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفي) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) يوم متعلق بخسروا أو بقول المؤمنين واقع في الدنيا أو يقال أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى النجاة (استجيبوا لربكم) أجيبوه الى ما دعاكم اليه (من قبل أن يأتي يوم) أي يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد أي لا يرده الله بعد ما حكم به أو يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده (ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أي ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا عن الايمان فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) المراد الجمع لا الواحد (منا رحمة)

لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزيدوا اذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتدوا وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أي عمن ظلمه (وأصلح) أي بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أي بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعني المنتصرين (ما عليهم من سبيل) أي بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يبدؤن بالظلم (ويبغون في الارض بغير الحق) أي يعملون فيها بالمعاصي (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر) أي لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (ان ذلك) أي الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعني تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التي أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) يعني ماله من أحد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعني يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعني انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفي) يعني يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي أي ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعني بان صاروا الى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعني وخسروا أهليهم بان صار وا لغيرهم في الجنة (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) أي وصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (ما لكم من ملجأ يومئذ) أي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (وما لكم من نكير) أي ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من أعمالكم شيأ (فان أعرضوا) أي عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي تحفظ أعمالهم (ان عليك الا البلاغ) أي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني الغنى والصحة

نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل أريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد مايشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لاتلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لايولد له وقدم الاناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل مايشاؤه لا مايشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة مالا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شئ (قدير) قادر على كل شئ (وما كان لبشر) وماصح لاحد من البشر (أن يكلمه الله الا وحيا) أى الهاما كما روى نفث فى روعى أو رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام رؤيا

والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) أى قحط (بما قدمت أيديهم) أى من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) أى لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه ۞ قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعنى له التصرف فيهما بما يريد (يخلق مايشاء) أى لايقدر أحد أن يعترض عليه فى ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) أى فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) أى فلا يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) أى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكرا وانما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية عامة فى جميع الناس (انه عليم) أى بما يخلق (قدير) أى على ما يريد ان يخلق ۞ قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) قيل فى سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلم موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أى يوحى اليه فى المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم فى المنام ان يذبح ولده وهو وحى وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه فى البحر (أو من وراء حجاب) أى يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعنى من الملائكة اما جبريل أو غيره (فيوحى باذنه مايشاء) يعنى يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله مايشاء وهذه الآية محمولة على انه لايكلم بشرا الا من وراء حجاب فى الدنيا وياتى بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى سورة النجم (انه على) أى عن صفات المخلوقين (حكيم) أى فى جميع أفعاله ۞ قوله عز وجل (وكذلك) أى وكما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) أى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى القرآن (ولا الايمان)

الانبياء وحى وهو كما رأى ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (أو من وراء حجاب) أى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لايجوز عليه مايجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (أو يرسل رسولا) أى يرسل ملكا (فيوحى) أى الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أى نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وماصح ان يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحى أو ان يسمع من وراء حجاب أو ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (باذنه) باذن الله (مايشاء) من الوحى (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض (وكذلك) أى كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدرى) الجملة حال من الكاف فى اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان)

أى شرائعه أو ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية﴾ (١٠٨) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى أم الكتاب لانه الاصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف على وحزة (لعلى) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب من الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بواجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لان كنتم مدنى وحزة وهو من باب الشرط الذى يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قوما مسرفين) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وكم أرسلنا

اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) أى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسىء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون ٧ كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أى صيرناه هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه وأحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فامره أن يكتب ما يريد أن يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وانه فى أم الكتاب (لدينا) أى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى أى رفيع شريف وقيل على جميع الكتب حكيم أى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان ۞ قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) أى لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا ايا كم صاغرين أى معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوى الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنتركم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا

من نبي في الاولين) أي كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (ومايأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) هي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلكنا أشد منهم بطشا) تميزوا الضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) كوفي

وغيره مهادا أي موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فانشرنا) فاحيينا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) بريد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلي ولا وقف على العليم لان الذي صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذي لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث (والذي خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) أي تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ماتركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بالسنتكم (سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشئ اذا أطاقه وحقيقة أقرنه وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وحكي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر

من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فاهلكنا أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) أي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة ۞ قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أي ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعني انهم أقروا بان الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة مافيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا (لعلكم تهتدون) يعني الى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجاتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فانشرنا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أي من قبوركم أحياء (والذي خلق الازواج كلها) أي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ماسوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) يعني في البر والبحر (لتستووا على ظهوره) أي على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) يعني بتسخير المركب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقيل ضابطين (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي لمنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف مايحزنه في أهل أو مال عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله

لناهذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هز الافقال انى مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغى أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنفلت الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله وائن سئلتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر نجحوده لان نسبة الولد اليه كفروا الكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضهم منه فقد جعله من جنسه وبما ماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعنى أنهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وار بد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى محاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتأتى بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عز وجل ينشأ حزة وعلى وحفص أى يربى قد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا الله اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى سموهم وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد لتضادبين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا طرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم أى لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم

صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يارسول الله من أى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ۞ قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا او أثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) أى لجحود لنعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ بكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أى أخلصكم (بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى بالجنس الذى جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى (ظل وجهه) أى صار وجهه (مسودا وهو كظيم) أى من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولد له انثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالابى حمزة لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ما شينا
وانما نأخذ ما أعطينا * حكمة رب ذى اقتدار فينا

۞ قوله عز وجل (أومن ينشأ) يعنى أومن يتربى (فى الحلية) يعنى الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) أى المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) أى وحكموا او أثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم) أى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أى لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أى على الملائكة أنهم بنات الله (ويسئلون) أى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما بدريكم أنهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال

واعتقادهم بقوله (ماهم بذلك) المقول (من علم ان هم الا يخرصون) أى يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لولم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أولمنعنا عن عبادتها مع قهر واضطرار واذلم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله ماهم بذلك من علم الآية أوقالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا فا كذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق فى الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان أنتم الا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا أن الله لا يعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فرد الله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أومن قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهى من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم أى تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون أو هما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير) نبى (الا قال مترفوها) أى متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامى وحفص أى النذير قل غيرهما أى قيل للنذير قل (أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوا على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه) أى واذكر اذ قال (انني براء) أى برىء وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذى فطرنى) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى (فانه سيهدين) يثبتنى على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجى لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعنى أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) أى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا

الله تعالى ردا عليهم (ماهم بذلك من علم) أى فيما يقولون (ان هم الا يخرصون) يعنى ماهم الا كاذبون فى قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أى يأخذون بما فيه (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعنى انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر أن غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) أى بهم (قل أولو جئتكم باهدى) أى بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فابوا أن يقبلوا (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ۞ قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء) أى برىء (مما تعبدون الا الذى فطرنى) معناه انا أتبرأ مما تعبدون الا من الله الذى خلقنى (فانه سيهدين) أى يرشدنى الى دينه (وجعلها) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لا اله الا الله (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعنى كفار مكة (وآباءهم) فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعنى القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعنى القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) ۞ قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب

بعظيم مكة الوليد بن المغيرة و بعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) أي النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (في الحيوة الدنيا) أي لم نجعل قسمة الا دون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أي جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا باعماله (ورحمت ربك) أي النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) أي لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف أي بعضها من فضة و بعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكي وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أي يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا أي وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة أي وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أي ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقي الشرك وقال

عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) معناه أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعني لو اتنا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعني الجنة (خير) يعني للمؤمنين (مما يجمعون) أي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين ۞ قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعني مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يعني يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أي من فضة (وسررا) أي ولجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أي ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا * عن سهل بن سعد قال قال رسول صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد جدني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذي

(ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو أو معنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن لقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عرافى غير أبى بكر أى العاشى جا آنا غيرهم أى العاشى وقرينه (قال) لشيطانه ياليت (بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم (أنكم فى العذاب مشتركون) انكم فى محل الرفع على الفاعلية أى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى ولا يبكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل الفاعل مضمر أى ولا ينفعكم هذا التمنى أو الاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفأنت تسمع الصم) أى من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيد اللشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبن بك) أى نتوفينك قبل ان نتصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم) قبل ان نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة السكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين تستمسك) فتمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لا عوج له

وقال حديث حسن * وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ۞ قوله تعالى (ومن يعش) أى يعرض (عن ذكر الرحمن) أى فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أى نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعنى ويحسب كفار بنى آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر وحده وقرئ جاآنا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا فى سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابى بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح (فبئس القرين) يعنى الشيطان قال أبو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصيرا الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعنى أشركتم (انكم فى العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف عنكم شيأ لان كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) أى بان نميتك قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) أى بالقتل بعدك (أو نرينك) أى فى حياتك (الذى وعدناهم) أى من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) أى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأرادبهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون فى أمته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى أمته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى أمته الا الذى تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذى أوحى اليك) يعنى القرآن (انك على صراط مستقيم) أى على دين مستقيم لا يميل عنه الا

(وانه) وان الذى أوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولامتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لاحاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فامهم وقيل له سلهم فلم يشك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوارة والانجيل (١١٤) وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همز مكى وعلى رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ماقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا يا أيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر يا أيه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى

الضال (وانه) يعنى القرآن (لذكر) أى لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعنى عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل عن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر فى قريش مابقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله تعالى على وجهه ماأقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الا كثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك أى ذلك شرف مما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه ۞ قوله تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلا المسؤلون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أسأل قدا كتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل ۞ قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أى يسخرون (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى من قرينتها التى قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) أى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا أيه الساحر) أى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا العذاب

(انتالمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر منادیا فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (فى قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أى أنهار النيل ومعظمها أربعة (تجرى من تحتى) من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جنانى والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أو الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدا وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاه الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرقة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسورة) حفص و يعقوب وسهل جمع اسوار غيرهم أساورة جمع أسورة وأساو ير جمع أسوار وهو السوار

حذف الياء من أساو يروعوض منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار طوقوه بطوق من ذهب (أوجاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الاسراع (فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه

العذاب فاسأله أن يكشفه عنا (انا لمهتدون) أى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) أى ينقضون عهدهم و يصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) يعنى أنهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه تجرى بين يدى جنانى و بساتينى وقيل تجرى بامرى (أفلا تبصرون) أى عظمتى وشدة ملكى (أم انا) أى بل أنا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال انا خير (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) أى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقى عليه) أى ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أوجاء معه الملائكة مقترنين) أى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه و يعينونه على أمره ۞ قال الله تعالى (فاستخف) يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط أى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) أى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) أى أغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجىء من بعدهم ۞ قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى

ومعناه انهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم وسلفا عزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال و يقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجىء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه

(اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات النبي صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدني وشامي والاعشى وعلى من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أي ماضربوا هذا المثل (لك الا جدلا) الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم (١١٦) قوم خصمون) لشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون لم

يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا أن ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ما عيسى (الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض) أي بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم في الارض أو يخلف الملائكة

عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعني قريشا (منه) أي من المثل (يصدون) أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا أن نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار ۞ قال الله تعالى (ماضربوه) يعني هذا المثل (لك الا جدلا) أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله انكم وما تعبدونه من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أي بالباطل * عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) أي ما عيسى (الا عبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلا) أي آية وعبرة (لبني اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم ولجعلنا بدلا منكم ملائكة (في الارض يخلفون) أي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدوني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعني عيسى (لعلم للساعة) يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن وقيل في معنى الآية وانه أي وان القرآن لعلم للساعة أي يعلم قيامها ويخبركم باحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) أي لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعوني) أي على التوحيد (هذا) أي الذي أنا عليه (صراط مستقيم) لا يصدنكم

بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم أي
يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم الساعة) وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أي وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما سهل ويعقوب أي واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي أو هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أدعوكم اليه (ولا يصدنكم)

الشيطان) عن الايمان بالساعة أوعن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالانجيل والشرائع (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو أمر الدين لا أمر الدنيا (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى أو للكفار (أن تأتيهم) بدل من الساعة أى هل

ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة وهم لايشعرون) أى وهم غافلون لاشتغالهم بامر دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية (ياعبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف الياء (لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا

أى لايصرفكم (الشيطان) أى عن دين الله الذى أمر به (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى (بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) أى من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما أمركم به (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) أى ينتظرون (الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى فجأة والمعنى انها تأتيهم لامحالة (وهم لايشعرون الاخلاء) أى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) أى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (الا المتقين) أى الا الموحدين المتحابين فى الله عز وجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب ۞ قوله تعالى (ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الا فزع فينادى مناد ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلها فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) * عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذى (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)

مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب وأكواب) أى من ذهب أيضا والكوب الكوز لاعروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب أو مستلذة فى العيون (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدا الذى هو اسم الاشارة والتى أورثتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف أى حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الاول يتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) من للتبعيض أى لاتأكلون الا بعضها

وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبدا وفى الحديث لاينزع أحد فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لايفتر عنهم) خبرا آخر أى لايخفف ولاينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وماظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يامالك) لما أيسوا من فتور العذاب نادوا يامالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يامال فقال ما اشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليمتنا من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (قال انكم ماكثون) لابثون فى العذاب لاتتخلصون عنه بموت ولافتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب أن يكون فى قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكثركم للحق كارهون) لاتقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل اللذة ومع الحق التعب (أم أبرموا أمرا) أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) مايتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) أى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لاتخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من أمارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فانا أول العابدين) فانا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه اى وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك اليك ماعبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول العابدين أى الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هى النافية أى ما كان للرحمن ولد فانا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقنى فقال له الوليد ماصدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ولد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لايكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام

ورد فى الحديث أنه لاينزع أحد فى الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها ۞ قوله تعالى (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم) أى لايخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أى آيسون من رحمة الله تعالى (وماظلمناهم) أى وماعذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أى لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يامالك) يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) أى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا) أى أحكموا أمرا فى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) أى محكمون أمرا فى مجازاتهم ان كادوا شر اكدتهم بمثله (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم) أى مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعنى الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا أول من عبد الرحمن فانه لاشريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان أى ما كان للرحمن ولد فانا أول العابدين أى الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا أول من عبده بذلك ولكن لاولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أى أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح تردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع التربجة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون)

(فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى القيامة وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الارض كما يقول هو حاتم فى طيئ وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كانك قلت هو جواد فى طيئ جواد فى تغلب وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله ومثله قوله وهو الله فى السموات وفى الارض فكانه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذى قائل لك شيأ والتقدير وهو الذى هو فى السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره فى السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهو الحكيم) فى أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة) أى علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكى وحمزة وعلى (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم

شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق) أى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) أن الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لان فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) أى المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فانى يؤفكون) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحمزة أى وعنده علم الساعة وعلم قيله (يارب) والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين

أى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أى فى باطلهم (ويلعبوا) أى فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) أى هو الاله الذى يعبد فى السماء وفى الارض لا اله الا هو (وهو الحكيم) أى فى تدبير خلقه (العليم) أى بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (الا من شهد بالحق) لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) أى بقلوبهم ماشهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهم عباده (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعنى انهم اذا أقروا بان الله خالق العالم باسره فكيف قدموا على عبادة غيره (فانى يؤفكون) أى يصرفون عن عبادته الى غيره (وقيله يارب) يعنى قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه (فاصفح عنهم) أى أعرض عنهم وفى ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) أى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الدخان وهى مكية وهى سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أى المبين ما يحتاج اليه الناس حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) قيل هى ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء

و بالنصب الباقون عطفا على محل الساعة ويعلم قيله أى قيل محمد يارب والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) كانه قيل وأقسم بقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودا عهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدنى وشامى ﴿سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فى الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم والكتاب المبين) أى القرآن الواو فى والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديد الحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) أى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من

اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة و يستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل و يكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التي تجيء في السنة المقبلة (حكيم) ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال أعني بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) (١٢٠) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم أو تعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) باحوالهم (رب) كو في بدل من ربك وغيرهم بالرفع أي هو رب (السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والارض

الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذي (انا كنا منذرين) أي مخوفين عقابنا (فيها) أي في تلك الليلة المباركة (يفرق) أي يفصل (كل أمر حكيم) أي محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحاج يقال يحج فلان و يحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة و ينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح و يولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس أن الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان و يسلمها الى أربابها في ليلة القدر (أمرا) أي أنزلناه أمرا (من عندنا انا كنا مرسلين) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل أنزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أي لاقوالهم (العليم) أي باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أي ان الله رب السموات والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيي و يميت ربكم ورب آبائكم الاولين) ۞ قوله تعالى (بل هم في شك) أي من هذا القرآن (يلعبون) أي يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) أي يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص و يزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بانفاس الكفار و يأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول الله صلى

ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الله الذي أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيي و يميت ربكم) أي هو رب بكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزء ولعب (فارتقب) فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان) يأتي دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الخنيذ و يعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيب أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر جاله لا يشك أحد في أنه دخان

(يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى سنؤمن أن تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك أنى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ماظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون

الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين أى أهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة فى أبصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجىء قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل فى اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخر به وأذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) أى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) أى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) أى الجوع (قليلا) أى زمنا يسيرا قبل الى يوم بدر (انكم عائدون) أى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) أى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة ۞ قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) أى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (أن أدوا الى عباد الله) أى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول أمين) أى على الوحى (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) أى ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربى وربكم

(انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى يوم القيامة أو يوم بدر (انا منتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا الى) هى ان المفسرة لان مجىء الرسل الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا

 الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله أرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متهم (وأن لا تعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبى الله (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على أنى نبى (وانى عذت) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلى (بربى وربكم

أن ترجون) أن تقتلونى رجما ومعناه انه عائذ به متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى و بين من لا يؤمن فتتحوا عنى أو خلونى كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجونى فاعتزلونى فى الحالين يعقوب (فدعا ربه) شاكيا قومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بان هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فاسر) من أسرى فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء أى فقال اسر (بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا انكم متبعون) أى دبر الله أن تتقدموا و يتبعكم فرعون وجنوده فينحى المتقدمين و يغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز

أن ترجون) أى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجونى بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى فاتركون لا معى ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) أى مشركون (فأسر بعبادى ليلا) أى أجاب الله دعاءه وأمره أن يسرى ببنى اسرائيل بالليل (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أى اذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) أى ساكنا والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعنى أخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما هو (كم تركوا) أى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) أى مجالس شريف حسن (ونعمة) أى وعيش لين رغد (كانوا فيها) أى فى تلك النعمة (فاكهين) أى ناعمين وقرئ فكهين أى أشرين بطرين (كذلك) أى أفعل بمن عصانى (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا فقيل أو تبكى فقال وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) أى لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها ۞ قوله عز وجل (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون انه كان عاليا) أى جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) أى علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أى عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعنى مشركى مكة (ليقولون ان هى الا موتتنا

البحر ان يضربه بعصاه فينطبق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قادرا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يابسا لا يضر به بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أى الامر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض فيبكى على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) أى لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه بتعذيبهم واهانتهم أو خبر مبتدا محذوف أى ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة وبانهم أحقاء بان يختاروا (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى) ما الموتة (الا موتتنا

الاولى) أى لاموتة لنا الا هذه التى نموتها فى الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله (ومانحن بمنشرين) أى بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) أى انا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيى لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لاتسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حيرا لحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبيناهو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من أحبار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما أراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا أنه لم يرده أحد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما ناواه أحد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لاتدخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فاحكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم باوثانهم ومايتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة ممن آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه ۞ قوله تعالى (والذين من قبلهم) أى من الامم الكافرة

الاولى) والاشكال ان الكلام وقع فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة أخرى حتى نجدوها وأثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الا حياتنا الدنيا فى المعنى ويحتمل أن يكون هذا انكارا لما فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (ومانحن بمنشرين) بمبعوثين يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فائتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق (أهم خير) فى القوة والمنعة (أم قوم

تبع) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى (والذين من قبلهم) مرفوع

بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وماخلقنا السموات والارض وما بينهما) أى وما بين الجنسين (لاعبين) حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ماخلقناهما الا بالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لايعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) أى ولى كان عن أى ولى كان شيأ من أغناء أى قليلا منه (ولاهم ينصرون) الضمير للمولى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لايمنع من العذاب الا من رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرت الزقوم) هى على صورة شجرة الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا نستدل على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو

حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها اجازة لا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالايستقل بادائه لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلى فى البطون) وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلى الحيم) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحيم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خذوه) أى الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحيم) المصبوب هو الحيم لاعذابه الا أنه اذا صب عليه الحيم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم انك أى لانك على (ان هذا) أى العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين فى مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الاقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع فى القرآن العربى

(أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق) أى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لايعلمون) ۞ قوله عز وجل (ان يوم الفصل) أى الذى يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أى يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لايغنى مولى عن مولى شيأ) أى لاينفع قريب قريبه ولايدفع عنه شيأ (ولاهم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله (الا من رحم الله) يعنى المومنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) أى فى انتقامه من أعدائه (الرحيم) أى باوليائه المؤمنين ۞ قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أى ذى الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أى كدردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) أى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذى وقال لانعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ۞ قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) أى ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) أى الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) أى هذا العذاب (انك أنت العزيز الكريم) أى عند قومك بزعمك وذلك ان أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) أى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين فى مقام أمين) أى فى مجلس أمنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ أن يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى

(متقابلين) فى مجالسهم وهو أتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أى الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدى بالباء (بحور) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهى واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لايذوقون فيها) أى فى الجنة (الموت) البتة (الا الموتة الاولى) أى سوى الموتة الاولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) أى للفضل

أعجمى قلت اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) أى كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) أكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) أى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهن أى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى أرادوها واشتهوها (آمنين) أى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أى لايذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الاستثناء بمعنى لكن وتقديره لايذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كانه فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعنى كل ماوصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) أى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (فارتقب) أى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) أى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر بن خثعم أحد رواته وهو ضعيف وقال البخارى هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذى وقال هشام أبو المقدام أحد رواته ضعيف والله أعلم

﴿سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهى مكية وهى سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض) أى ان فى خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفى خلقكم) أى وفى خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا ذا عقل وتمييز (ومايبث من دابة) أى ومايفرق فى الارض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها فى الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعنى انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعنى المطر الذى هو سبب أرزاق العباد (فاحيا به) أى بالمطر (الارض بعد موتها) أى بعد يبسها (وتصريف الرياح) أى فى مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان

على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان فى خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفى خلقكم) (ومايبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (آيات) حمزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) أى مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلى (آيات لقوم يعقلون) بالنصب على وحمزة

فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لايستحق على الله شيأ (ذلك) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فانما يسرناه) أى الكتاب وقد جرى ذكره فى أول السورة (بلسانك لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر مايحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون مايحل بك من الدوائر

﴿سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلتها اسما للسورة فهى مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديد اللحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبره (العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى تدبيره (ان فى السموات والارض لآيات) لدلالات

وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى واختلافى الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الآية عنده أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقديم ذكرها فى الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور ومعطوفا على ماقبله أو على التكرير تو كيد الآيات فى الاولى كانه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هى والمعنى فى تقديم الآيات على الايقان وتوسيطه وتأخير الآخران المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلهم من حال الى حال وفى خلق ماظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم تلك اشارة الى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها) فى محل الحال أى متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأى حديث بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد (يؤمنون) حجازى وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) يبالغ فى اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) فى موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحارث وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فى كل من كان مضار الدين الله وجىء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى العقول (كان لم يسمعها) كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أى بصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فاخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا أحس بشئ من الكلام انه من جملة الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها حيث أراد عتبه (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التى يوارى بها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) ما فيهما مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الاوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) فى جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل فى الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة العذاب وغيرها بالجر صفة لرجز (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا) هو تأكيد ما فى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال أى سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أى هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أى تسخيرا منه

قلت ما وجه هذا الترتيب فى قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذ نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لابد لها من صانع فآمنوا به وأقروا انه الاله القادر على كل شئ ثم اذا أمعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى أسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله) أى بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) ۞ قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعنى آيات القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ) يعنى آيات القرآن (اتخذها هزوا) أى سخر منها (أولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعنى امامهم جهنم وذلك خزيهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة النار (ولا يغنى عنهم ما كسبوا) أى من الاموال (شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا يغنى عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعنى القرآن (هدى) أى هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله) أى بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى أنه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث أنا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه ۞ واحسان

(ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) أى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وحاز حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمرنا بان يغفروا اليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه قيل ليجزئ ايمان قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم لنجزى شامى وحمزة وعلى ليجزى قوما يزيد أى ليجزى الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما اقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز

وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) أى الى جزائه (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) التوارة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين (فما اختلفوا)

(ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ۞ قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فانزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعنى معرفة أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى الحلالات وهو ما وسع عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجىء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) أى من الدين (فاتبعها) أى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) أى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين) أى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) أى معالم للناس فى الحدود

الخلاف بينهم فى الدين (الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بامر والدلائل (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة

(وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف في (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التي هي (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار أن يستوي المسيؤن والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة وأولئك على اقتراف السيآت ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرمة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد في مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلي المؤمنين ونجزي الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه (وأضل الله على علم) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة حزة وعلي (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حزة وعلي وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله في مخالفته فنعم ما قال اذا طلبتك النفس يوما بشهوة * وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما * هواك عدو والخلاف صديق (وقالوا ما هي) أي ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الا حياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون نطفا في الاصلاب أمواتا ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به (وما يهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر

والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أي اكتسبوا المعاصي والكفر (ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن علينا كما فضلناعليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا المعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل (ساء ما يحكمون) أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات

قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيأ أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) أي علما منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل أن يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعني منكر البعث (ما هي الا حياتنا الدنيا) أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أي يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا الا الدهر)

(ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) ومايقولون ذلك من علم و يقين ولكن من ظن وتخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن يعنى مافيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه فى زعمهم حجة (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أى أحيوهم (ان كنتم صادقين) فى دعوى البعث و حجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) فى الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم

ضرورة (لا ريب فيه) أى فى الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر فى الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر و يومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه تثبت (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعد الله) بالجزاء (حق

أى ومايفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (ومالهم بذلك من علم) أى لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) * (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار وفى رواية يؤذينى ابن آدم ويقول ياخيبة الدهر فلا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفى رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر مايصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله ومايهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ماناهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل فى الحقيقة للامور التى يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم ۞ قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكرى البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض و يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى فى ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أى باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسى ان فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لا أسألك الا نفسى (كل أمة تدعى الى كتابها) أى الذى فيه أعمالها و يقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظة فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أى يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب و يطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام مايكون من أعمال بنى آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى جنته (ذلك هو الفوز المبين) أى الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) أى يقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) أى عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين منكرين ۞ قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) أى البعث

والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة جزة عطف على وعد الله (لاريب فيها قلتم ماندرى ما الساعة) أى شئ الساعة (ان نظن الاظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفى والاستثناء ليفيد اثبات الظن مع نفى ماسواه وزيد نفى ماسوى الظن توكيدا بقوله (ومانحن بمستيقنين وبدا لهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيئات ماعملوا) قبائح أعمالهم أوعقوبات أعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى نتركك فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأواكم النار) أى منزلكم (وما لكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لايخرجون منها) لايخرجون حزة وعلى (ولاهم يستعتبون) ولايطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وله الكبرياء فى السموات والارض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه ﴿سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) ملتبسا بالحق (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لايؤمنون به ولايهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرأيتم) أخبرونى (ماتدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى شئ خلقوا مما فى الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك

كائن (والساعة لاريب فيها) أى لاشك فى انها كائنة (قلتم ماندرى ما الساعة) أى أنكرتموها وقلتم (ان نظن الاظنا) أى مانعلم ذلك الاحدسا وتوهما (ومانحن بمستيقنين) أى انها كائنة (وبدا لهم) أى فى الآخرة (سيئات ماعملوا) أى فى الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيآتهم (وحاق بهم) أى نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) أى مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) أى هذا الجزاء (بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعنى حين قلتم لابعث ولاحساب (فاليوم لايخرجون منها) أى من النار (ولاهم يستعتبون) أى لايطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لايقبل ذلك اليوم عذر ولاتوبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (فى السموات والارض) وحق لمثله أن يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعنى عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقانى ٧ وأبو مسعود رضى الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيأ منهما عذبته ولابى داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار * شرح غريب ألفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ماتعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثالا له فى انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لايشاركه فى ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لاينبغى ان يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التى لاتليق بغيره والله أعلم

﴿تفسير سورة الاحقاف وهى مكية﴾

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى بالعدل (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أى خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب (معرضون) أى لايؤمنون به (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله) يعنى الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك

في السموات) شركة مع الله في خلق السموات والارض (ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك ومامن كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أي أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي الاصنام لعبدتها (وكانوا) أي الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من أضل انكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شئ و يدعون من دونه جادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى أن تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين

الا على نكد ومضرة لا تتولاهم

في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) أي بقية من علم يؤثر عن الاولين و يسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض (ان كنتم صادقين) أي في أن لله شريكا (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعني لا تجيب أبدا ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعني لانها جادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أي جاحدين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) أي اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) أي لا تقدرون أن تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي فكيف افترى على الله من أجلكم (هو أعلم) أي الله أعلم (بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بيني و بينكم) أي ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أي في تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ۞ قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أي بديعا (من الرسل) أي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولو لا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وأنزل و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به و بهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من

في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها و بعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر ان موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو

بالحق (لما جاءهم) أي بادؤه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره في البطلان لا شبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أي اختلقه وأضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) أي ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شئ من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بيني و بينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ و يشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى اني لست باول مرسل فتنكروا نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما يفعل الله بي و بكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأمر بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر

ومافى مايفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا فى قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فيما أدرى ماومافى حيزه (ان أتبع الا مايوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور وهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومابال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أى مثله فى المعنى وهو مافى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد بنحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فآمن به مع استكباركم عنه وعن الايمان به

الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت قطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى أبياتنا ففوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك ان الله أكرمه فقلت بابى أنت يارسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لارجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله مايفعل بى قالت فوالله لا أزكى بعده أحدا يارسول الله قالت وأريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدرى وأنا رسول الله مايفعل بى ولا بكم وقيل فى معنى قوله ما أدرى مايفعل بى ولا بكم هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وأن من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التى رأيت فسكت فانزل الله هذه الآية وما أدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك فى مكانى أم أخرج أنا وأنتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لا أدرى الى ماذا يصير أمرى وأمركم فى الدنيا أما انا فلا أدرى أخرج كما أخرجت الانبياء من قبلى أم أقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلى وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدرى أتخرجون معى أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدرى مايفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شئ يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه مايصنع به وبامته وقيل معناه لا أدرى الى ماذا يصير أمرى وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأمته على سائر الامم ۞ وقوله (ان أتبع الا مايوحى الى) معناه ما أتبع غير القرآن الذى يوحى الى ولا أبتدع من عندى شيأ (وما أنا الا نذير مبين) أى أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع (قل أرأيتم) أى اخبرونى ماذا تقولون (ان كان من عند الله) يعنى القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) أى انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) أى عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا بدل عليه ماروى عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى أرض يخترف النخل فاتاه وقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شئ ينزع الولد الى أبيه ومن أى شئ ينزع الى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن آنفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت

ألستم أضل الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقولهم (فسيقولون هذا افك قديم) مسيب عنه وقولهم افك قديم أى كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما

قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لينذر) أى الكتاب لتنذر بحجازى وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولاهم يحزنون) عند الموت (أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة التى دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفى أى وصيناه بان يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم أى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أى بامر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازى وابو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت

الحوت وأما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان اعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبد الله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لا أدرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين ۞ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم ۞ قال الله تعالى (واذ لم يهتدوا به) أى بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) أى كذب متقدم (ومن قبله) أى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) أى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) أى من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) أى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته أمه كرها) يعنى حين أثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعنى ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا

للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هى الصلوات الخمس (وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له (انى تبت اليك) من كل ذنب (وانى من المسلمين)

المخلصين (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز وأحسن غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله

فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) أى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة الى أربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك أنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى) أى بالايمان والهداية وقال على بن أبى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى أبى بكر أسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس أجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال (وأصلح لى فى ذريتى) فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابى بكر اسلام أبويه أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبى بكر ۞ وقوله (انى تبت اليك) أى رجعت اليك الى كل ما تحب (وانى من المسلمين) أى وأسلمت بقلبى ولسانى (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعنى أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ويتجاوز عن سيآتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى أصحاب الجنة) أى مع أصحاب الجنة (وعد الصدق) أى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيآتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد

(أف لكما) مدنى وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أى هذا التأفيف لكما خاصة ولا جلكما دون غيركما (أتعدانني أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث (حق) صدق (فيقول) لهما (ما هذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أى لأملأن جهنم (فى أمم) فى جملة أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكى وبصرى وعاصم (وهم لا يظلمون) أى وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلق بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم فى حياتكم الدنيا) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى استبقى طيباتى وقوله (واستمعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أى باستكباركم وفسقكم

بعد الموت (أف لكما) وهى كلمة كراهية (أتعدانني أن أخرج) أى من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلي) أى فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أى يستصرخان بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) أى بالبعث (فيقول ما هذا) أى الذى تدعونى اليه (الا أساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل اسلامه وكان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وانكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا فى عبد الرحمن بن أبى بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيأ من القرآن الا ما أنزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أى وجب عليهم العذاب (فى أمم) أى مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى أسفل (وليوفيهم أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) ۞ قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

﴿فصل﴾ لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك

فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يا رسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا أن نؤتى باللحيم وفى رواية أخرى قالت انا كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخرجه الترمذى وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت فى الله ما لم يخف أحد وأوذيت فى الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام الا شئ يوارى ابط بلال (خ) عن أبى هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال قتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ۞ قوله تعالى (واذكر أخا عاد) يعنى هودا عليه السلام (اذ أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد بالیمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) أى مضت الرسل (من بين يديه) أى من قبل هود (ومن خلفه) أى من بعده (ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أى لتصرفنا (عن آلهتنا) أى عبادتها (فأتنا بما تعدنا) أى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى أن العذاب نازل بنا (قال) يعنى هودا (انما العلم عند الله) يعنى هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) يعنى من الوحى الذى أنزله الله على وأمرنى بتبليغه اليكم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) يعنى قدر العذاب الذى ينزل بكم (فلما رأوه) يعنى رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعنى رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذى يعرض فى ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا

(واذكر أخا عاد) أى هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج عن ابن عباس رضى الله عنهما هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين انذر قومه وبين (ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قالوا) أى قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعيدك (قال انما العلم) بوقت مجئ العذاب (عند الله) ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم وبالتخفيف أبو عمرو أى الذى من شأنى أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف (ولكنى أراكم قوما تجهلون) أى ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم)

قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أى قال هود بل هو يدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بامر ربها) رب الريح (فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم) عاصم وحمزة وخلف أى لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائى من كان (كذلك نجزى القوم المجرمين) أى مثل ذلك نجزى من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركى العرب عن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها تمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أى فيما ما مكناكم فيه الا ان ان أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى ان الاصل فى مهما ما فلشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذى أو نكرة

تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله رد ا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعنى من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شئ بامر ربها) يعنى تهلك كل شئ مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وأمر الله الريح فاهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشف عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد فى رواية وكان اذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمننى ان يكون فيه عذاب وقد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدرى لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفى رواية أخرى قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قال هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سرى عنه أى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن ۞ قوله تعالى (فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (كذلك نجزى القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعنى مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعنى انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها الا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) يعنى انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك منهم شيأ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا

 موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أى آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذا أساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا

ماحولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعنى أهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعنى وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وأنها تشفع لهم ۞ قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية ﴿ذكر القصة فى ذلك﴾

قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لأكلمك كلمة أبدا ان كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيزيد ذلك فى تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقال له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابنى ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدى ما فى

ماحولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقال له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو جمزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله قد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا أن ابن مسعود قدم الكوفة فرأى شيوخا شمطا من الزط فأفزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده وأجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه * وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك

(يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أي كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا قراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) أي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) اياهم (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدي الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله) أي محمد صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى أن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل أنه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنصتوا) يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) أي فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا (الى قومهم منذرين) يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له (وقالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة (يا قومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على أنه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعي الله أمر باجابته في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على أصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا جرت عليهم أحكام الاسلام فمن أتى بذنب أخذ به ما لم يتب منه أو يبق تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا النجاة من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم والى هذا ذهب أبو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل للمؤمنين الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح

أبو حنيفة رضى الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) أى لا ينجى منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقول عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الياء لاشتمال النفى فى أول الآية على ان ومافى حيزها وقال الزجاج لو قلت ماظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيى الموتى بلى) هو جواب للنفى (انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم فى الدنيا (فاصبر كما صبر أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد باولى العزم ماذكر فى الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر

الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبى ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للأنس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمنى الجن حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها يعنى فى الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) يعنى لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعنى أنصارا يمنعونه من الله (أولئك) يعنى الذين لم يجيبوا داعى الله (فى ضلال مبين) ۞ قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن) يعنى أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيى الموتى) يعنى ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شئ قدير) يعنى من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شئ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعنى هذا العذاب هو الذى وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ۞ قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء باولى العزم من الرسل فى الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا فى أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازى قال لان لفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم بقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح فى قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين فى قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لا بد لى من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله ۞ قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعنى اصبر على أذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب

(كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أى انهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بمواجبه قال عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا ﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصد صدودا أى أعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها و يثيب عليها كالضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من أهل الكتاب أو عام (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين مايجب الايمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين و بالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد

العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون مايوعدون) يعنى من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) يعنى فى الدنيا (الا ساعة من نهار) يعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان مامضى وان كان طويلا فهو يسير الى مايدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) أى هذا القرآن ومافيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

﴿تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون وهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصد وا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين (و) الذين (آمنوا بما نزل على محمد) يعنى القرآن الذى أنزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع مايجب من الايمان بجميع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ (كفر عنهم سيآتهم) يعنى ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وأصلح بالهم) يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعنى قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال

(ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعد خبره أى ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيآت الثانى والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أى يبين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب)

وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعنى أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعنى الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيآت المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير فى أمثالهم راجع الى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو انه راجع الى الفريقين على معنى أنه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس ۞ قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان أشنع مايكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى اذا أثخنتموهم) يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعنى فى الاسرى والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به (فاما منا بعد واما فداء) يعنى بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

﴿فصل فى حكم الآية﴾ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لا يجوز المن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق و يجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل و يسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة و يراد بالفداء أن يفادى باسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور عنه أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال المبالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه فى سارية من سوارى

أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فناب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر مايكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم مايوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم (فاما منا بعد) أى بعد ان تأسروهم (واما فداء) مناوفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أى فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم و بين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل و يسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا القبول الجزية و بالفداء أن يفادى باسراهم أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعى رحمه الله تعالى للامام أن يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن

(حتى تضع الحرب أوزارها) أثقالها وآلاتها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بان يسلموا وحتى لا يخلو من ان يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا التعلقين

المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من دينك فاصبح دينك أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد كلها الي وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعني أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعني حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمي الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بان يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا أو يسالموا قال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم (ذلك) يعني الذي ذكرو بين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعني ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعني فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا في سبيل الله) يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعني أيام حياتهم في الدنيا الى أرشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) ويرضي أعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم في الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطؤنها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب ۞ قوله عز وجل (يا أيها

عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر أو افعلوا بهم ذلك فهو في محل النصب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أي المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين (والذين قتلوا) بصري وحفص قاتلوا غيرهم (في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الى طريق الجنة أو الى الصواب في جواب منكر ونكير (ويصلح بالهم) برضى خصمائهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يا أيها الذين

الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (و يثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على نجبة الاسلام (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فتعسالهم) وعطف قوله (وأضل أعمالهم) على الفعل الذى نصب تعسالان المعنى فيقال تعسالهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذلك) أى التعس والضلال (بانهم كرهوا ماأنزل الله) أى القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لامولى لهم) أى لاناصر لهم فالله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (و يأكلون) غافلين غير

الذين آمنوا ان تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (و يثبت أقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسالهم) قال ابن عباس يعنى بعدا لهم اوقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين و يثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر أيضا يصير و يثبت قدمه فى الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لايجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والضلال (بانهم كرهوا ماأنزل الله) يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ماأنزل الله (فاحبط أعمالهم) يعنى فابطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك مايختص به والمعنى أهلك الله عليهم مايختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بماجاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بان) أى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وان الكافرين لامولى لهم) يعنى لاناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لاتضر ولاتنفع ولاتنصر من عبدها فلاجرم لاناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لامولى لهم و بين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (و يأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يرادبهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لاعقل لها ولاتمييز وكذلك الكافر لاعقل له ولاتمييز لانه لوكان له عقل ماعبد مايضره ولاينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ماأعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكافر فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم ۞ قوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل

متفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أى وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم

أهلكناها (فلا ناصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى الى الله وأحب بلاد الله الى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى عبادة الاوثان ۞ قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشبها به وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد فى النار (فيها) يعنى الجنة التى وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعنى غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعنى كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا مايكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما فى بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبر هما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثانى وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوى عنه ۞ وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن مأكول أهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) فان قلت المؤمن المتقى لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضى الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه ۞ قوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) يعنى من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد فى النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعنى شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا أدنى منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (فـ) اذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعنى خرجت من أدبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما فى البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد فى النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب

فلا ناصر لهم) أى فلم يكن لهم من من عنده و برهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشأن (التى وعد المتقون) عن الشرك (فيها أنهار) داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التى فيها أنهار أو حال أى مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء اذا تغير طعمه وريحه أسن مكى (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) أى ماهو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفة الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما) حار فى النهاية (فقطع أمعاءهم) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من

على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فليست ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ۞ قوله تعالى (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه (حتى اذا خرجوا من عندك) يعنى ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعنى من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعنى ما الذى قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر أى ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعنى المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أماتت الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعنى بهداية الله اياهم الى الايمان (زادهم هدى) يعنى انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هداياتهم وايمانا مع ايمانهم (وآتاهم تقواهم) يعنى وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى ۞ قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة) يعنى الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تاتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ۞ وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) أى أماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبطأ فى النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تاتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتى تلى الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفى رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفى رواية قال بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان مابين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين فى الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفى رواية ويظهر

ينتظرون (أن تأتيهم) أى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله

من هو خالد فى النار وهو وهو كلام فى صورة الاثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا الاولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أى

الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة ۞ وقوله تعالى (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعنى فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت (فاعلم انه لا اله الا الله) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا لله الذي لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك (م) عن الاغر المزني أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى أستغفر في اليوم مائة مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل في معنى الآية استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعني من غير أهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل

علیه وسلم وانشق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش والتقدير فانى لهم ذكراهم اذا جاءتهم (فاعلم انه) ان الشان (لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب فامره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (والله يعلم متقلبكم) في معايشكم ومتاجركم (ومثواكم) ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وأن يسيغفر وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر

الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات و بطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور المعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى * قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد فى سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تامرنا بالجهاد لكى نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) يعنى نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعنى شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعنى كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فاولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ماتكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أى فلعلكم (ان توليتم) يعنى أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه (ان تفسدوا فى الارض) يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج

الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أى أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فاولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فاذا عزم الامر) فاذا وجد الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال

(فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وغير

وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه انه لما عهد منكم أحقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أحارمكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (أولئك) اشارة الى من اذا تولى أفسد فى الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعنى أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعنى عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعنى عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم اسماع وابصار فى الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعنى يتفكرون فيه وفى مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر فى عاقبة الشئ ومايؤل اليه أمره وتدبر القرآن لايكون الامع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أقفالها) يعنى بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطى فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف مالايطاق جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق فى علمه انه لايؤمن فكذلك هنا والله يفعل مايريد لااعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسى وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعى من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك ۞ قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) يعنى رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ماتبين لهم الهدى) يعنى من بعد ماوضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ماعرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعنى زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا (وأملى لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعنى أمهلوا ومد لهم فى العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بان مد لهم فى الامل فان قلت الاملاء والامهال لايكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر (ذلك) اشارة الى التسويل والاملاء (بانهم) يعنى بان أهل الكتاب أو المنافقين (قالوا للذين كرهوا مانزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم فى بعض الامر) يعنى من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك

ان توليتم (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فاصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا مافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لايجسروا على المعاصى (أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لايتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية منهم إمرها فى ذلك والمراد بعض قلوب وهى قلوب المنافقين وأضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) أى المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سول) زين (لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والاماني وأملى أبو عمرو أى أمهلوا وسد فى عمرهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله) أى المنافقون قالوا لليهود (سنطيعكم فى بعض الامر) أى عداوة محمد والقعود عن نصرته

الجهاد

(والله يعلم اسرارهم) على المصدر من أسر حزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أى فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصره المؤمنين (فاحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم) أحقادهم والمعنى أظن

الجهاد معه والتعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم * ثم قال (والله يعلم أسرارهم) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعنى ذلك الضرب (بانهم) يعنى بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعنى كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاحبط أعمالهم) التى عملوها من أعمال البر لانهم لم تكن لله ولا بامره (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وهم المنافقون (ان لن يخرج الله أضغانهم) يعنى يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكأن قائلا قال لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم أى لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهى ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفنا كهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعنى بعلامتهم أى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ۞ ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله ۞ قوله تعالى (ولنبلونكم) يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى على الوجود والظهور (ونبلو أخباركم) يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعنى خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعنى من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيأ) يعنى انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعنى

المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بعضهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لاريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه الحسن من لحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما فى أنفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لو كالتى فى لاريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبلونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ فى اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على

الجهاد أى نعلم كائنا ما علمناه أن سيكون (ونبلو أخباركم) أسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو أبو بكر وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقد مر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم

وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة لانهالم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر ۞ قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عزوجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعنى بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصى والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى أنه لا شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا ان سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت فى بنى أسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت فى أهل القلوب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الاعلون) يعنى وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات (والله معكم) يعنى بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (ولن يتركم أعمالكم) يعنى لن ينقصكم شيأ من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ۞ ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها فى عبادة الله عزوجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وان أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) يعنى يؤتكم جزاء أعمالكم فى الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعنى أن الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم لايتاء الاجر عليها بل يأمرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق أو بالرياء (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا الى السلم) وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح (وأنتم الاعلون) أى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (والله معكم) بالنصرة أى ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم أجر أعمالكم (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) تنقطع فى أسرع مدة (وان تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أى لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض

(ان يسئلكموها فيحفكم) أى يجهدكم و يطلبه كله ولاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا و يخرج) أى الله أو البخل (أضغانكم) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (ها أنتم) ها للتنبيه (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أى أنتم الذين تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) هى النفقة فى الغزو أو الزكاة كانه قيل الدليل على انه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم تدعون الى أداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لان من هذه ليست للشرط أى فمنكم ناس يبخلون به ومن يبخل بالصدقة وأداء الفريضة (فانما يبخل عن نفسه) أى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغنى وأنتم الفقراء) أى انه لا يأمر بذلك لحاجته اليه لانه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) وان تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق فى سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لنالته رجال من فارس (ثم لا يكونوا أمثالكم) أى ثم لا يكونوا فى الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم

صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها فى الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى فى أموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة و يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسئلكموها) الضمير عائد الى الاموال (فيحفكم) يعنى يجهدكم و يطلبها كلها والاحفاء المبالغة فى المسئلة و بلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح (تبخلوا) يعنى بالمال فلا تعطوه (و يخرج أضغانكم) يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله أن الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان (ها أنتم هؤلاء) يعنى أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) قيل أراد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل فى سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعنى بما فرض عليه اخراجه من الزكاة أو ندب الى انفاقه فى وجوه البر (ومن يبخل) يعنى بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) أى على نفسه (والله الغنى) يعنى عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض (وأنتم الفقراء) يعنى اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم اياه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يعنى يكونون أطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وله فى رواية أخرى عن أبى هريرة قال قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق فى الصحيح ترد فى سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الفتح وهى مدنية ﴾

(خ) عن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فى قرآن فما لبثت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزل على الليلة سورة لهى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وأخرجه الترمذى وزاد فيه وكان فى بعض أسفاره بالحديبية (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال رسول الله صلى الله

عنوة أو صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق مالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجىء به على لفظ الماضى لانها فى تحققها بمنزلة الكائنة وفى ذلك من الفخامة

عليه وسلم لقد أنزلت على آية هى أحب الى من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخارى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيئا مريئا فعن عكرمة وأخرجه الترمذى عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على الليلة آية أحب الى مما على الارض ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا فى هذا الفتح فروى قتادة عن أنس أنه فتح مكة وقال مجاهد أنه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التى يفتحها الله عز وجل له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضى قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجىء به بلفظ الماضى جريا على عادة الله تعالى فى أخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال انا فتحنا لك فى حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه * عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا وما شيتنا وركابنا وقال الشعبى فى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهرى لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام فى قلوبهم فاسلم فى ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام فى قوله ليغفر لك الله لام كى والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكى يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير وهو راجع الى قوله فى سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قد له من الامور الاربعة المذكورة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك

والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان فى فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فى البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة (ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو وسببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل التمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك وغفرنا فتح مكة أو كذا نجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك او ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امر أة زيد

وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل وقيل يجوز أن يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعنى قبل النبوة وما تأخر يعنى بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبويك آدم وحواء بركتك وما تأخر من ذنوب أمتك بدعائك لهم وقال سفيان الثورى ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعنى كل شئ لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعطمن تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب ومالم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيآت المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وأنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعنى ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية أى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب أما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا ﴿قوله تعالى (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس أكل سكينة فى القرآن طمأنينة الا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ثم قال تعالى (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهو جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عز وجل أن له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة

(ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (ويهديك صراطا مستقيما) ويثبتك على الدين المرضى (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا لا ذل بعده أبدا (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا على يقينهم وقيل السكينة الصبر على أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله (ولله جنود السموات والارض

ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والارض (حكيما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم ۞ قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ماروى عن أنس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى مايفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم) فان قلت تكفير السيآت انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لاتقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة المشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى انهم ظنوا ان الله تعالى لاينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وأبعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعنى فى الآخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شئ وأخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا فان قلت قال فى الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذى انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر ۞ قوله تعالى

وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة وفساد يقال فعل سوء أى مسخوط فاسد والمراد ظنهم ان الله تعالى لاينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) مكى وأبو عمرو أى مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أى الدائرة التى يذمونها ويسخطونها والسوء والسوء كالكرم والكرم والضعف والضعف الا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه مايراد ذمه من كل شئ وأما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما) فيما دبر

(انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ۞ ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (ويعزروه) يعني ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزيره اقامة تعالى تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعند هاتم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعني ويصلوا لله أو يسبحوا الله بالغداة والعشي ۞ قوله عز وجل (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على أي شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق أيديهم أي نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ۞ قوله تعالى (فمن

(انا أرسلناك شاهدا) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته (وتعزروه) وتقووه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاولين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبعد ليؤمنوا مكي وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الاربع (ان الذين يبايعونك) أي بيعة الرضوان ولما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وانما يبايعون الله خبر

ان (فمن نكث) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه به الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فنكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيؤتيه) وبالنون حجازى وشامى (أجرا عظيما) الجنة (سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل

البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هى جمع أهل اعتلوا بالشغل باهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا جزة وعلى (أو أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى والارض

نكث فانما ينكث على نفسه) يعنى فمن نقض العهد الذى عقده مع النبى صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فان وبال ذلك وضره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعنى من البيعة (فسيؤتيه أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة وهو الجنة ۞ قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء والذرارى يعنى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أى انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) يعنى انهم فى طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا) يعنى سوأ (أو أراد بكم نفعا) وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر أو يجعل لهم النفع بالسلامة لهم فى أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيأ من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعنى من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) يعنى ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهليهم (وزين ذلك فى قلوبكم) يعنى زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس فى قلب الانسان بالشئ ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعنى وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعنى وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضى بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا أعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر ان له ملك السموات

والارض أهليهم أبدا زين ذلك فى قلوبكم) زينه الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشئ هلك وفسد أى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أى لهم فاقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمان والايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر وانارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين

والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) ۞ قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعني الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) يعني اذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ (ذرونا نتبعكم) يعني الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعني يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير منهم أحدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا والقول الاول أصوب (قل) أي قل لهم يا محمد (لن تتبعونا) يعني الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيأ (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله ۞ قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم أولي باس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولي باس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله أولي باس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيد بقيد هو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لابد

الى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلام الله حجة وعلى أي يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا مواد عين لا يصيبون منهم شيأ (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أي لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشاركم في الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) الا شيأ قليلا يعني مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعظم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) يعني بني حنيفة قوم مسيلمة

وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل

منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى فى الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا يعنى فى غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبى صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معهم أو منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الاذن لهم فى الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثانى وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو باس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعى للمخلفين هو النبى صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم الى قتال بنى حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر فى الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار ۞ وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعنى الجنة (وان تتولوا) يعنى تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعنى عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعنى النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانه والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة فى جواز ترك الجهاد لان أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفى معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكر وهى الفقر الذى لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التى تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعنى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعنى فى الآخرة ۞ قوله عز وجل (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعنى بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان أبى ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلموها وعلمتموها فانتم أعلم فضحك وفى رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبى الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعيره زاد فى رواية قال يايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذى عن جابر فى قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا

هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفى الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب أن يكون الداعى مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أى عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) فى الآخرة (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى الحرج عن ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو (ومن يطع الله ورسوله) فى الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدنى وشامى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ماذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يارسول الله انى أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا جد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكأني أنظر اليه لاصقا ابطه بناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ۞ وقوله تعالى (فعلم مافي قلوبهم) يعني من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم مافي قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فانزل السكينة) يعني الطمأنينة (عليهم) يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ماقلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم مافي قلوبهم من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم مافي قلوبهم قلت قوله فعلم مافي قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم مافي قلوبهم من الصدق اشارة الى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم مافي قلوبهم رضي عنهم فانزل السكينة عليهم ۞ وقوله تعالى

خراش بن أمية الخزاعي رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وار بعمائة (فعلم مافي قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوه عليه (فانزل السكينة عليهم) أي الطمأنينة والامن بسبب الصلح على

(وأثابهم فتحا قريبا) يعنى خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعنى منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على أيديكم ۞ قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعنى المغانم التى تغنمونها من الفتوحات التى تفتح لكم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التى يعطيهم الله عز وجل فى المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهى فى جنب ماوعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدى الناس عنكم) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدى أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ماتقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعنى ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ماوهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعنى ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

(ذكر غزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم فال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ماهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا

فثبت الاقدام ان لاقينا * وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرز له عمى عامر فقال قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يارسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم أرسلنى الى على وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا

قلوبهم (وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هى ما أصابوه مع النبى صلى الله عليه وسلم ويعده الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية المؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله و يفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن أبى طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يارسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون و يقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحق فكان اول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا ففتله ثم فتح القموص حصن ابن أبى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيى بن أخطب جاء بها بلال و باخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بها أثر منها فسألها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقى فابى أن يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبى طلحة فاجرى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى انى أنظر بياض فخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال

وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعنى الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يارسول الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لاتصلح الالك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبى غيرها قال فاعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت ياأبا حمزة ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فاهدتها له من الليل وأصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الآخر يجئ بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبى أوفى قال أصابتنا مجاعة ليالى خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكفؤا القدور ولاتأكلوا من لحوم الحمر شيأ فقال أناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن انس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجئ بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أوقال على قالوا أنقتلها قال لا فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر فى امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم و يخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا أخرجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسألت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعنى ابتلعها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومى مالا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال ياأم بشر مازالت أكلة خيبر التى أكلت مع ابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة * عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبى فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يارسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه أحد من أهل هذا الوادى قال ويحك وما ربحت قال

(وأخرى) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى هى مغانم هوازن فى غزوة حنين (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وامالم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدا (وكان الله على كل شئ قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لولوا الادبار) لغلبوا وانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يلى أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لاغلبن أنا ورسلى (التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذى كف أيديهم عنكم) أى أيدى أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعنى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ماخولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لاصلحا وقيل كان فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (ببطن مكة) أى بمكة أو بالحديبية لان بعضها منسوب الى الحرم (من بعد ان أظفركم عليهم) أى أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

مازلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يارسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود ۞ قوله تعالى (وأخرى لم تقدروا عليها) يعنى وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) يعنى حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هى فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هى خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هى مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه الى آخر الزمان (وكان الله على كل شئ قديرا) أى من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أى أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) أى لانهزموا عنكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعنى من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التى قد خلت من قبل) يعنى هذه سنة الله فى نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ۞ قوله عز وجل (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روى عن أنس ابن مالك ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلمان فاستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزنى كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى قال الله فى القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن أبى طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذى كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم يعنى أيدى أهل مكة وأيديكم عنهم أى قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادى مكة (من بعد ان أظفركم عليهم) أى مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) ۞ قوله عز وجل ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾

﴿ذكر صلح الحديبية﴾ روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعى وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان أميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت لا نريد

قتال أحد ولاحر بافمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يارسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لاتريد قتال أحد ولاحر بافتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لاتدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عميرو هو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا مادتهم ويخلوا بينى وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذو والرأى منهم هات ماسمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يامحمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى ولم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أى غدر ألست أسعى فى غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ماتنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه

وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال قد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما أنت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن والله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني أكتب محمد ابن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيأ ولكن أنت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله قال ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبي بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهري * قال بينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى

بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شئ أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لى قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا و بين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى جنب أبى جندل وجعل يقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب و يدنى السيف منه قال عمر ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبى جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى أفاخبرك أنه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس قالت أم سلمة يا نبى الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا فى الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين

فرجا رفخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمرلهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا زعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله أوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم فانجانى الله تعالى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف أنه يردده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر ويلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل فلحق بابى بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فارسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فارسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا انه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت أخرجه البخارى بطوله سوى ألفاظ منه وهى مستثناة فى الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله مازال يجيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الحليس ابن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا ياحليس حتى نأخذ لانفسنا بما ترضى به ومنها قوله هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهرى ومنها قوله وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أباجندل الى قوله قال عمر فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخارى فى صحيحه * شرح غريب ألفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له أى جاسوسا قوله وقد جعوا لك الاحابيش هم أحياء من القارة انضموا الى بنى ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين أى منقوصين قوله فنفذوا أى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على أخبار العدو قوله وفترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذى يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا يعنى انها لما توقعت عن المشى وتقهقرت ظنوا ذلك خلقا فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماخلأت أى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أى منعها عن السير الذى منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق الاذن قوله خطة أى حاله وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهى فروضه ومايجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذى

لا مادة له والتبرض أخذ الشئ قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بالرى يقال جاشت البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والرى ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على أعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت الى أن يقوى ولدها وقيل هى كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهى الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب أى أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أى جعلت بينى وبينهم مدة قوله والا فقد جموا أى استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتى السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله انى استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت فى الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها وأشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك أى جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهو اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من الهنة التى تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور فى ألسنتهم قوله لولا يدلك عندى اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله أى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه قد طلب منكم طريقا وانحى فى هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن أى الابل تهدى الى البيت فى حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل فى رقابها شئ كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى أى جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث فى شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه أى فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ واتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق فى مؤخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها الغتان وهو مشى المقيد قوله فاجره لى قال ابن الاثير يجوز أن يكون بالزاى من الاجازة أى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه لى وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضع قوله فلم نعط الدنية أى القضية التى لا نرضى بها أى لم نرض بالادون والاقل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله ويل أمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها أيضا ومسعر حرب أى موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها اذا أوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم أى منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به (والهدى) أى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) أى محبوسا (أن يبلغ محله) أى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء

(والهدى) هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (معكوفا ان يبلغ) محبوسا ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (محله) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء

مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (ان تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم معرة) اثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه اذا ذادهاه مايكره ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوءة قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل مافعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطؤهم يعنى ان تطئوهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والاباده والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة ان تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وقوله (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير لولا

مؤمنات) يعنى المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أى لم تعرفوهم (أن تطؤهم) أى بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أى اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعتبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم فى دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك السبب (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) أى فى دين الاسلام من يشاء أى من أهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لو تزيلوا) أى لو تميز المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى بالسبى والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلا مين أحدهما لولا رجال والثانى لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى المؤمنين والمؤمنات فى رحمته أى فى جنته قال قتادة فى الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة ۞ قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) أى الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم مناوا للات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التى دخلت قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أى حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصون الله فى قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال على وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال عطاء الخراسانى هى لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أى من كفار مكة (وأهلها) أى كانوا أهلها فى علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شئ عليما) يعنى من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير ۞ قوله

رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من أهل مكة (عذابا أليما) والعامل فى (اذ جعل الذين كفروا) أى قريش لعذبنا أى لعذبناهم فى ذلك الوقت أو اذكر (فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) المراد بحمية الذين كفروا هى الانفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث

قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا أشهد انى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أى المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شئ عليما) فتجرى الامور على مصالحها

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعلق بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه

تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين و يحلقون رؤسهم فاخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التى رآها فانزل الله هذه الآية ودخلوا فى العام المقبل وروى عن مجمع ابن جارية الانصارى قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم مابال الناس قال أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتح مبينا فقال عمر أهو فتح يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده ففيه دليل على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان فى العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر أن الرؤيا التى أراه اياها فى مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد حق وصدق بالحق أى الذى رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لان الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذى هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتاكيد القوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول فى عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول و يابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك فى الموت (محلقين رؤسكم) أى كلها (ومقصرين) أى تاخذون بعض شعوركم (لا تخافون) أى من عدو فى رجوعكم لان قوله آمنين فى حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفى حال الرجوع (فعلم مالم تعلموا) يعنى علم أن الصلاح كان فى الصلح وتاخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم أن دخولكم فى السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم انه فى السنة الاولى (فجعل من دون ذلك) أى من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعنى صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر ۞ قوله عز وجل (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا البيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق و بقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أى يعليه و يقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أى فى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن

وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أى بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص و بين من فى قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من أسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لاصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلقين) حال من الضمير فى آمنين (رؤسكم) أى جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لا تخافون) حال مؤكدة (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر ليستريح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) البيت بالتوحيد (ودين الحق) أى الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه الغزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر

دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيد انميزأ وحال (محمد) خبر مبتدا أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أى أصحابه مبتدأ والخبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ و رسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدا و أشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين و بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) أى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أى المذكور (مثلهم) صفتهم (فى التوراة) وعليه وقف (ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ (فآزره) قواه فازره شامى (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته وقيل

البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أى فى انه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعنى أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أى غلاظ أقوياء كالاسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد من الولد كما قال فى حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) أى يطلبون (فضلا من الله) يعنى الجنة (ورضوانا) أى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائى بعمله لا يبتغى له أجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين معه يعنى ابا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما على قولين أحدهما أن المراد فى يوم القيامة قيل هى نور و بياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل و يعرف ذلك فى رجلين أحدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) أى صفتهم (فى الانجيل كزرع أخرج شطأه) أى افراطه قبل فراخه قيل هو نبت فاخرج بعد فهو شطؤه (فآزره) أى قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) أى غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق أى على أصوله (يعجب الزراع) أى يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون و يكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبى طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه فى الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يجتنف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (ليغيظ بهم الكفار)

(فصل فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ثم قالت سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث قوله خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم يعنى الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فى الجنة وعمر بن الخطاب فى الجنة وعثمان بن عفان فى الجنة وعلى بن أبى طالب فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعيد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة أخرجه الترمذى وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الاول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتى بامتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبى بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر أشبه عيسى فى ورعه قال عمر فعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين أحدهما الى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر الى أبى ذر (خ) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد أراه ضربه برجله فانما عليك نبى وصديق وشهيدان * عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت أى الناس أحب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا * عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر ليقولن الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبى الامى الى أنه لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد يموت من أصحابى بارض الا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقد روى عن أبى بريدة مرسلا وهو أصح (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وعن أبى هريرة نحوه أخرجه مسلم * عن عبد الله بن مغفل المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ۞ قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من فى قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جريج يعنى من الشطء الذى أخرجه الزرع وهم الداخلون فى الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعنى الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وقولك انفق من الدراهم أى اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته

(سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يأيها الذين آمنوا لاتقدموا) قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ماوقع فى النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجاز أن لايقصد مفعول والنهى متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذى يحيى ويميت أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهى الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا (بين يدى الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن تجلس بين الجهتين المساميتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم غيره اذا جاوره وفى هذه العبارة ضرب من (١٧٥) المجاز الذى يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله أى سرنى حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لايخفى سلك به هذا المسلك وفى هذا تمهيد لما تقدم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى مايجب له من التهيب والاجلال أن يخفض صوته بين يديه وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق لمثله أن يتقى (يأيها الذين آمنوا) اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لاتبلغوا باصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهر الجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم

﴿تفسير سورة الحجرات﴾

(وهى مدنية وهى ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) من التقديم أى لاينبغى لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لاتقدموا فعلا بين يدى الله ورسوله والمعنى لاتقدموا بين يدى أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لاتجعلوا انفسكم تقدما عند النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لاتعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل أن يفعله وقيل لاتقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا فى معنى الآية فروى عن جابر أنه فى الذبح يوم الاضحى أى لاتذبحوا قبل أن يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن ناسا ذبحوا قبل النبى صلى الله عليه وسلم فامروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول مانبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ زاد الترمذى فى أوله قال خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك أى لاتصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقيل فى سبب نزول هذه الآية ماروى عن عبد الله بن الزبير أنه قدم وفد من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت زاد فى رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخارى وقيل نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو نزل فى كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل فى معنى الآية لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه وقيل فى القتال وشرائع الدين أى لاتقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أى فى تضييع حقه بمخالفة أمره (ان الله سميع) أى لاقوالكم (عليم) أى بافعالكم قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى لاتجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لاتقدموا نهى عن فعل وقوله لاترفعوا أصواتكم نهى عن قول (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض) أى اذا كلمتموه وهو صامت فايا كم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا من مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر أو لا تقولوا يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر الا كاخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه فى محل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا أن يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على انه المفعول له متعلق بمعنى النهى والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) ثم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم فى مجلسه تعظيما له (أولئك) مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر ان والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات

لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبى الله (أن تحبط أعمالكم) أى لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أى بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمر وما شأن ثابت أيشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة فزاد فى رواية فكنا نراه يمشى بين أظهرنا رجل من أهل الجنة لفظ مسلم وللبخارى نحوه وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون أنزلت فى وأنا رفيع الصوت على النبى صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله ابن أبى بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسى فشدى على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا أرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فانزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فمر به رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وانه قال له اعلم أن فلانا رجلا من المسلمين نزع درعى فذهب به وهو فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمته فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وأت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا حتى يقضيه عنى وفلان من رقيقى عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فاجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبى صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون أى يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أى اجلالا له وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار

عنها والامتحان افتعال من منحه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذى رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض لعظم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت فى وفد بنى تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبى صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التى يوارى بها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وان المنادات نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهى فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهى قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له

أو نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه السلام فيها ولكنها جعلت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفى العام اذ القلة تقع موقع النفى وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته

بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) ۞ قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزارى فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عياهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا فى أهله فلما رأتهم الذرارى اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يامرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بينى وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة أنا لا أحكم وعمى شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل فى معنى الآية أكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به من سوء الادب وطلب العجلة فى الخروج (لكان خيرا لهم) أى الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية فى ناس من أعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر

ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب أن تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساطا للثانى ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ فى التفاحش مبلغا (ولو أنهم صبروا) أى ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولا جلهم للزمهم أن يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) فى دينهم

(والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أجمعوا انها نزلت فى الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فى الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم (١٧٨) يصلون فسلموا اليه الصدقات ورجع وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى

أمرت ولكن ها توافقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر أبيانا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف فى ركابهم عمر بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) أى لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش فى جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الآيات ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى له ما قبلنا من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية فى عسكر وأمره أن يخفى عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعنى الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حمل الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أى بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا أى فتوقفوا وطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق (أن تصيبوا) أى كيلا تصيبوا بالقتل والسبى (قوما بجهالة) أى جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على ما فعلتم) أى من اصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله) أى فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أى الرسول (فى كثير من الامر) أى مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) أى لاثمتم وهلكتم * عن أبى

انفساق والانباء كانه قال أى فاسق جاءكم بأى نبأ فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق ولا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفى الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه وبين الفاسق وخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشئ يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر حزة وعلى فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أن تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب

الانسان صحبة لها دوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تكذبوا فان الله يخبره فينتهك ستر الكاذب أو فارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) لوقعتم فى الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصوتون ويزعمهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين

سعيد الخدرى انه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم فى كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى جعله أحب الاديان اليكم (وزينه) أى حسنه وقربه منكم وأدخله (فى قلوبكم) حتى اخترتموه لان من أحب شيأ اذا طال عليه قد يسأم منه والايمان فى كل يوم يزداد فى القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصى الله تعالى وفى هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء فى مقابلة الايمان الكامل المزين فى القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر فى مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب فى مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان فى مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين فى قلوبهم أى أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أى بكم وبما فى قلوبكم (حكيم) فى أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما فى خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم ۞ قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه النبى صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى أرض سبخة فلما أتاه النبى صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدى والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبى بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبى واذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبى انفه برداءه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى بن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما ممارة فى حق بينهما فقال أحدهما للاخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وأن الآخر دعاه ليحاكمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فابى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقى بها الى علية لحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس

استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حال موقعها من الاستدراك وهو مخالفة مابعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستثنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له أى حبب وكره الفضل والنعمة (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافضال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فاصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبى بانفه وقال خل سبيل حمارفقد آذانا نتنه فقال عبدالله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قومهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى فاصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البغى الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى ترجع والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة مايرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ماقاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (الى أمر الله) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغى الى أمر الله (فاصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به فى اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى زال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم)

والخزرج (فاصلحوا بينهما) أى بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) أى تعدت (احداهما على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى ترجع (الى أمر الله) أى الى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته فى الصلح الذى أمرت به (فان فاءت) أى رجعت الى الحق (فاصلحوا بينهما بالعدل) أى الذى يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أى اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين (انما المؤمنون اخوة) أى فى الدين والولاية وذلك أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وأن بينهم مابين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

أبى الاسلام لاأب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أوتميم

(فاصلحوا بين أخويكم) أى اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) أى فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترحمون) * (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿فصل فى حكم قتال البغاة﴾ قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على أن البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ماروى عن على بن أبى طالب وهو القدوة فى قتال أهل البغى وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغى قاتلهم الامام حتى يفيؤا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتى على يوم صفين باسير فقال لأقتلنك صبرا انى أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى فى حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق فى الحكم وروى أن عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال على كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا

هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نسب مثل ذلك بين الاخوين ولاد الزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة فى الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغى

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لأنهم قوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية اذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله وما أدري ولست أخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف

أيدينا ولا نبدؤكم بقتال ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الاول من أولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائم كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه ۞ وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من نساء) أي لا يستهزئ نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روي عن أنس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب) عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله أنه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الآية ولا تنابزوا

ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي ان لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وارتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أحول كلبا (ولا تلمزوا أنفسكم) ولا

تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالالقاب) التنابز بالالقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه فلا بأس به وروي ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت جحش وكانت قصيرة وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل

فنزلت فقال ثابت لا أخر على أحد فى الحسب بعدها أبدا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم ههنا بمعنى الذكر

بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود فى الترمذى قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذى حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أى لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم فى بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب أى لا تدعوا الانسان بغير ما سمى به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذمالله فاما الالقاب التى صارت كالاعلام لصاحبها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهها المدعو بها وأما الالقاب التى تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابى بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلى أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الاسم أن تقول له يا يهودى أو يا نصرانى بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحق اسم الفسوق (ومن لم يتب) أى من ذلك كله (فاولئك هم الظالمون) أى الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك * قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيأ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتنى عيناى فنمت قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندى شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما جمع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فانطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعنى ان يظن باهل الخير سوء نهى الله المؤمن أن يظن باخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ أو يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لان بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الامر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائى مخطئا فاما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك قلنا ان نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثورى الظن ظنان أحدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومامور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن

من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقة ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذى يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) وحد وجمع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله فى جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبنى و بنى أن نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوأ فاما أهل الفسق فلنا ان نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم أو معناه اجتنابا كثيرا واحترزا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب

بالاخ

بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن لان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وأكثر ما يقال فى الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا أى لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أى لا يعطى كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة (م) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة ۞ قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبى هريره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة ۞ قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد فى المنع لان العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ فى الزجر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فى نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سيار بيننا أنا نائم اذا بجيفة زنجى وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده ۞ قوله تعالى (واتقوا الله) أى فى أمر الغيبة

وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب فى ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغلال وفى الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلام الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما ناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بان أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حى فانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بان أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله

ان الله تواب رحيم) التواب البليغ في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المؤمنين التائبين وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما ادما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جا آ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها (لتعارفوا) أى انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لان تتفاخروا بالاباء والاجداد وتدعوا التفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فى الحديث من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعن يزيد بن شجرة مر

واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقوله فى الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله قال أنظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية ونزل فى الذى لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن العيص الحمد لله الذى قبض أبى ولم يرهذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل ابن عمرو ان يكره الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان انى لا أقول شيأ أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعنى آدم وحواء والمعنى انكم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فان كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وبنى أمية من لؤى ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شئ يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بنى اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى أحد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على

المشهور

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط أن لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا فى ذلك شيأ فنزلت (ان الله عليم) كرم القلوب وتقواها (خبير) بهم النفوس فى هواها (قالت الاعراب) أى بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة و يمنون عليه (آمنا) أى ظاهرا و باطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما فى الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى التوقع وقد دل على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل لم

المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد منا خافنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذى أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلان برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عيبة الجاهلية يعنى كبرها وفخرها (ان الله عليم) أى بظواهركم و يعلم أنسابكم (خبير) أى ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهى ويأتى بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقى لم يترك ما أمر به و يترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله وايا كم من المتقين ۞ قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقولون أتتك العرب بانفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان و بنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك و يريدون الصدقة و يقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أى صدقنا (قل لم تؤمنوا) أى لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) أخبر أن حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وأن الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد ابن أبى وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم الىّ فقلت ما لك عن فلان والله انى لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال انى لأعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه زاد فى رواية قال الزهرى فنرى أن الاسلام الكلمة والايمان والعمل الصالح لفظا الحيدى اعلم أن الاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة

(٢٤ - (خازن) - رابع) تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم نفى لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حيث لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال

من الضمير فى قوله (وان تطيعوا الله ورسوله) فى السر بترك النفاق (لا يلتكم) لا يألتكم بصرى (من أعمالكم شيأ) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيأ ألت يالت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) يستر الذنوب (رحيم) بهذا يتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد المجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبرا لمبتدأ الذى هو المؤمنون (اولئك هم الصادقون) أى الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أو هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا أنهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يمنون عليك أن) أى بان (أسلموا) يعنى باسلامهم والمن ذكر الايادى تعريضا للشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) أى المنة لله عليكم (أن هداكم) بان هداكم أولان (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ أن هداكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) و بالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه تعالى يعلم كل مستتر فى العالم و يبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وهو علام الغيوب

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) الكلام فى (ق)

وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم والايمان أخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم ۞ وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله) أى ظاهرا و باطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لا يلتكم) أى لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ) أى من ثواب أعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى يشكوا فى دينهم (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) أى فى ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى لا تخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أى لا يحتاج الى اخباركم (يمنون عليك أن أسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نحارب كما يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصا (قل لا تمنوا على اسلامكم) أى تعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أى لله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ فى السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة ق﴾

وهى مكية وهى خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر أو قضى ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمرذة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء

والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لاتفاقهما فى أسلوب واحد المجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجيب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه واذا علم أن مخوفا اظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ واقرارهم بالنشأة الاولى مع شهادة العقل بانه لابد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وعلى وحمزة وحفص

السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) أى مجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أى أحين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أى يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أى ما تأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ (وعندنا) أى مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أى حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) أى بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم فى أمر مريج) أى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة معلم مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) أى بغير عمد (وزيناها) أى بالكواكب (وما لها من فروج) أى شقوق وصدوع (والارض مددناها) أى بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أى من كل صنف حسن كريم يبتهج به أى يسر به (تبصرة) أى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أى تذكرة (لكل عبد منيب) أى راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) أى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر

(ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أى بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتاكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (وما لها من فروج) من فتوق وشقوق أى انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (والارض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لولاها لمالت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر (لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما

(والنخل باسقات) طوالا فى السماء (لها طلع) هو كل مايطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) أى أنبتناها رزقا للعباد لان الانبات فى معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أو هو مفعول له أى أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) قد جف نباتها (كذلك الخروج) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف فى محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطو وهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا (وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كل) أى كل واحد منهم (كذب الرسل) لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا) عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أى انا لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم فى لبس) فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس مايخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد بالقعيد قرب علمه منه (من حبل الوريد) هو مثل فى فرط القرب والوريد عرق فى باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية (اذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال قعيد) التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والعقيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله رمانى بامر كنت منه ووالدى بريئا ومن أجل الطوى رمانى أى رمانى بامر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا واذ منصوب باقرب لما فيه من معنى وما يقرب ٣ والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان مايتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهو مافى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيآت والرغبة فى الحسنات

والشعير وسائر الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) أى طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أى متراكب بعضه على بعض فى أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا) أى جعلنا ذلك رزقا (للعباد وأحيينا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) فانبتنا فيها الكلا والعشب (كذلك الخروج) أى من القبور أحياء بعد الموت ۞ قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) قيل كان لوط مرسلا ٦ الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كرب أسعد تبع الحميرى وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدى أى وجب لهم عذابى وقيل فحق وعيدى للرسل بالنصر (أفعيينا بالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث (بل هم فى لبس) أى شك (من خلق جديد) وهو البعث * قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) أى مايحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه أى نحن أعلم به منه والوريد العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه (اذ يتلقى المتلقيان) أى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعنى ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيآت (قعيد) أى قاعد أو كل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد

٦ قوله الى طائفة من قوم ابراهيم كذا بالاصول ولعل الظاهر الى طائفة من قومه بدليل تعليله وعبارة النسفى بالهامش واضحة اه

(مايلفظ من قول) مايتكلم به ومايرمى به من فيه (الالديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الامافيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لايجتنبانه الاعند الغائط والجماع لماذكرا نكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم انما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أى شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أى بحقيقة الامر أو بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفر وتهرب (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أى ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل

لتعرفه بالاضافة الى ماهو فى حكم المعرفة (لقد كنت) أى يقال لها لقد كنت (فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى فازلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كانها غطاء غطى بها جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أى ديوان عمله مجاهد شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أى الذى وكلت به (مالدى عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت لدى عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو للملك وكان الاصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فى جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فالقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار والقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) أى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ماقبلها فى الحصول أعنى مجىء

بالقعيد الملازم الذى لا يبرح (مايلفظ من قول) أى مايتكلم من كلام يخرج من فيه (الالديه رقيب) أى حافظ (عتيد) أى حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان أن يتكلم فى هاتين الحالتين حتى لا يؤذى الملائكة بدنو هما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الامالة أجر اوثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصرى يعجبه أن ينظف عنفقته روى البغوى باسناده الثعلبى عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ۞ قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أى غمرته وشدته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أى حقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان و يراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك اليوم الذى وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أى فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى يسوقها الى المحشر (وشهيد) أى يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدى والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى من هذا اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به فى الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيآتك (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا مالدى) أى عندى (عتيد) أى معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله (ألقيا فى جهنم) أى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أى شديد الكفر (عنيد) أى عاص ممرض عن الحق معاند لله فيما أمر به (مناع للخير) أى للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه فى ماله (معتد) أى ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) أى شاك فى التوحيد (الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد) يعنى النار (قال قرينه)

كل نفس مع الملكين وقول قرينه ماقال له وأما هذه فهي مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب هو أطغاني فقال قرينه (ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) أي ما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قال لا تختصموا) (١٩٠) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال

لا تختصموا (لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة على والباء في بالوعيد مزيدة كما في قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدي) أي لا تطمعوا ان أبدل قولي ووعيدي بادخال الكفار في النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمر هو ذكر وأنذر (يقول) نافع وابو بكر أي يقول الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمجيد أي انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أي هل بقي في موضع لم يمتلئ يعني قد امتلأت أو انها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بانها امتلأت أم لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما

يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما اضللته وما أغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدي) أي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة فلن كفر (ما يبدل القول لدي) أي لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل لاملان جهنم وقضيت عليكم ما أنا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي (وما أنا بظلام للعبيد) أي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسيء أو أنقص من احسان المحسن ۞ قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعني جهنم (هل من مزيد) يعني تقول قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس في مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا ﴿فصل﴾ هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض أظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى ۞ قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أي قربت وأدنيت (للمتقين) أي الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعني

تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت (ماتوعدون) صفته وبالياء مكى (لكل أواب) رجاع الى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده فى الحديث من حافظ على أربع ركعات فى أول النهار كان أواباً حفيظاً (من) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع (خشى الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بانه خاش مع ان الخشى منه غائب (بالغيب) حال من المفعول أى خشيه وهو غائب

أو صفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب الحسن اذا أغلق الباب وأرخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) أى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أى مقدرى الخلود (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) على مايشتهون والجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة وسطوة (فنقبوا) فخرقوا (فى البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) مهرب من الله أو الموت (ان فى ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لان من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى الى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعياء قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع

انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها (هذا ماتوعدون) أى يقال لهم هذا الذى وعدتم به فى الدنيا على ألسنة الانبياء (لكل أواب) أى رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلى (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر (من خشى الرحمن بالغيب) أى خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه فى الخلوة بحيث لا يراه أحد اذا ألقى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أى مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أى يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أى بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أى فى الجنة لانه لا موت فيها (لهم مايشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهى مسئلتهم فيعطون ماسألوا ثم يزيد الله عبيده مالم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد ۞ قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعنى سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف (فنقبوا فى البلاد) أى سار واتقلبوا فى البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أى فلم يجدوا لهم محيصا أى مهربا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان فى ذلك لذكرى) أى ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أى عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أى استمع القرآن واستمع مايقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أى حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه ۞ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) أى اعياء وتعب قال المفسرون نزلت فى اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فقوله وما مسنا من لغوب أى ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الاول الآية وأما ماقاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان

من التشبيه فى هذه الامة اه وقع من اليهود ومنهم أخذوا أنكر اليهود التربيع فى الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على مايقولون) أى على مايقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على مايقول المشركون فى أمر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) العشا آن أو التهجد (وادبار السجود) التسبيح

الزمان قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أى مدة كانت ۞ قوله عز وجل (فاصبر على مايقولون) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى اصبر يامحمد على مايقولون أى من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أى صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) أى صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعنى صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة المغرب والعشاء وقيل يعنى صلاة الليل أى وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر (م) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها يعنى بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أحصى ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى قوله وادبار السجود التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح فى ادبار الصلوات كلها يعنى قوله وادبار السجود (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وماذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى أحد بمثل ماجئتم به الا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا ۞ قوله تعالى (واستمع يوم ينادى المنادى) يعنى استمع يامحمد حديث يوم ينادى المنادى وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادى هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى فى الحشر فيقول ياأيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى فى وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) أى من القبور (انا نحن نحيى) أى فى الدنيا (ونميت) يعنى عند انقضاء الاجل (والينا المصير) أى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيى للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم

فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار بالحجازى وحمزة وخلف من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادى المنادى) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادى المنادى المنادى بالياء فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وفى الوصل مدنى وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادى الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيى) الخلق (ونميت) أى نميتهم فى لدنيا (والينا المصير) أى مصيرهم (يوم

تشقق

تشقق) خفيف كوفى وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أى تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من المجرور أى مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذى لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديدلهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) كقوله بمسيطر أى ما أنت بمسلط عليهم انما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله أعلم

﴿سورة الذاريات مكية وهى ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريا ذا يسر أى داسهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لاغير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه أقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات

و بادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو

تشقق الارض عنهم سراعا) أى يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) أى هين (نحن أعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أى ما أوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أى عظ بالقرآن من يخاف وعيد والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الذاريات وهى مكية وهى ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب يحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعنى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) يعنى الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمرها به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحى الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة فى الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ما توعدون) أى من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) أى لحق (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (انكم) يعنى يا أهل مكة (لفى قول مختلف) يعنى فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى قول مختلف أى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذب به وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم و بالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به

البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها تبتدئ فى الهبوب فتذر التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لفى قول مختلف) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى عصم فلم يزل انه ما فوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير

لما توعدون أولدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على انهم فى قول مختلف فى وقوعه فنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرون مالا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لانه انما يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب

اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يوم هم على النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم فى النار (هذا) مبتدأ خبره (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (ان المتقين فى جنات وعيون) أى وتكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لانهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبران (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم مابعده (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا الا بقليلا لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالاسحار هم يستغفرون) وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كانهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل

(قتل الخراصون) أى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) أى فى غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أى لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه (يسئلون أيان يوم الدين) أى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) أى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) أى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى فى الدنيا تكذيبا به ۞ قوله تعالى (ان المتقين فى جنات وعيون) يعنى فى خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أى ما أعطاهم (ربهم) أى من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ۞ ثم وصف احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) أى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيأ اما من أولها أو من أوسطها وعن أنس بن مالك فى قوله كانوا قليلا من الليل مايهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أى من الناس ثم ابتدأ من الليل مايهجعون أى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) أى ربما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم أخذوا فى الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضئ الفجر وزاد فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

۞ (فصل) ۞ هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفى أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض

(وفى أموالهم حق للسائل) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أى الذى يتعرض ولا يسأل حياء (وفى الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذبة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيئات والافعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايقانا على ايقانهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب ومراكز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع (١٩٥) والابصار والاطراف وسائر الجوارح

والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد فى رواية وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت أو لا اله غيرك زاد النسائى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفر لى أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت ۞ قوله عز وجل (وفى أموالهم حق) أى نصيب قيل انه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) أى الذى يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذى ليس له فى الغنائم سهم ولا يجرى عليه من الفىء شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما المحروم الذى ليس له فى فىء الاسلام سهم وقيل معناه الذى حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذى لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذى أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم فى الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ (وفى الارض آيات) أى عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أى بالله الذى يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفى أنفسكم) أى آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن تنفخ الروح وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم (أفلا تبصرون) يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وما توعدون) يعنى من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) أى ما ذكر من الرزق وغيره (مثل ما أنكم تنطقون) أى بلا اله الا الله

وتأتيها لما خلقت له وما سوى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسامنها شئ جاء العجز واذا استرخى أتاح الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل ان التقدير أفلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لانه يفضى الى تقديم ما فى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أى المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد ان مائر زقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كله مقدور

مكتوب فى السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفى غير حفص صفة للحق أى حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أى انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعى أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال من الرجل فقلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما نججت مع الرشيد وطفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف لها ثلاثا فخرجت معها نفسه

(هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي وانتظامها بما قبلها باعتبار انه قال وفي الارض آيات وقال في آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عشر هم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حين أضافهم ابراهيم أولانهم كانوا في حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فباضمار اذكر (فقالوا سلاما) مصدر سادمسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أي عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كانه قصد أن يحييهم باحسن مما حيوه به أخذا

بادب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم جزة وعلى سلم والسلم السلام (قوم منكرون) أي أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف ان يخفي أمره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الاكل أوخيفهم عليه (فاوجس) فاضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لا يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضي الله عنهما وقع في نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بامه (وبشروه بغلام عليم) أي يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فاقبلت امرأته في صرة) في صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة وقيل فاخذت في صياح وصرتها قولها يا ويلتا (فصكت وجهها) فلطمت بيسط يديها وقيل فضربت باطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أي أنا عجوز فكيف ألد كما قال في موضع آخر ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أي انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) في فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بامر الله رسلا في بعض الامور (قال فما خطبكم) أي فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لامر آخر أو لهما (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أي قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة

وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمي ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره ۞ قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع لقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض (فراغ) أي عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) أي جيد وكان مشويا وقيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم الى السعي اليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم (فاوجس) أي فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحركوا بطعامه (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) أي يبلغ ويعلم وقيل عليم أي نبي (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه (في صرة) أي في صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه أنا لد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أي فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو

الآجر

(مسومة) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) في ملكه وسلطانه (للمسرفين) سماهم مسرفين كما سماهم عادين أي لاسرافهم وعدواتهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم (فاخرجنا من كان فيها) في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (من المؤمنين) يعني لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير أهل بيت وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) في قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء أسود منتن (وفي موسى) معطوف على وفي الارض آيات أو على قوله وتركنا فيه بية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن مايركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر) أي هو ساحر (أو مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هي التي لا خير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (ماتذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) هو كل

الآجر (مسومة) أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فاخرجنا من كان فيها) أي في قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) أي أهل بيت (من المسلمين) يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) أي في مدينة قوم لوط (آية) أي عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم ۞ قوله عز وجل (وفي موسى) أي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة (فتولى) أي أعرض عن الايمان (بركنه) أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فاغرقناهم في البحر (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفي عاد) أي وفي اهلاك عاد أيضا آية وعبرة (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعني التي لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ماتذر من شئ أتت عليه) أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم (الا جعلته كالرميم) أي كالشئ الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلي (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الصاعقة) أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أي يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) أي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسماء بنيناها بايد) أي بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو من السعة أي أوسعنا السماء بحيث صارت الارض ومايحيط بها من الهواء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه

مارم أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ماتترك من شئ هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفي ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) أي هرب أو هو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلي وحمزة أي وفي قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفي قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بايد) بقوة والايد القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق